حول موسيقى النثر

دكتور/ عبد الموجود متولى برهنسى

بعون الله وتوفيقه سنتناول فى هذه الدراسة السجع من جوانب هى ــ على الترتيب ــ :

١ ــ كينونته بين أنساق التعبير الأدبى •

٢ ــ قيمته الفنية وما يقال حولها •

٣ ــ تحوير الكلمة فى سبيل كينونته •

٤ ــ حسنه : شرائطه وتفاوته •

أولا : كينونته بين أنساق التعبير الأدبى :

وفى حديثنا عن هذه الكينونة نبين أن ما فيه من نغم وموسيقى أثار فى وجه هذه الكينونة أعاصير مبعثها أن بعض الأذهان تقف عند السطح من بعض النصوص لا تتعمقها ، ولا تتنبه الى سياقاتها • ومثل هذا الادراك السطحى يتكشف عن رؤية منقوصة عندما تتعمق تلك النصوص أفهام متيقظة تنفذ ببصيرتها الى ما وراء السطح فتدرك مرماها ، ولا تعوقها الظواهر •

وتلك حقيقة يدركها الباحثون فى كل مجالات المعرفة ، ومن بين هذه المجالات ما يمكن أن نسميه بفن القول • فقد ترامى الينا من النصوص المتصلة بجانبى هذا الفن : الشعر والنثر ما حدا ببعض الفهوم أن تنظر اليهما نظرة المستريب ذاهبة الى أن الاستقامة على منهج الحياة الصحيحة تدعو الى نبذهما قولا ونظرا •

ففى الشعر : وردت آيات فى القرآن الكريم تنفى عنه أن يكون شعرا ، وعن الرسول أن يكون شاعرا منها : قوله تعالى (وما هو بقول

شاعرا قليـــلا ما تؤمنون) وقوله (وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين) • فتراءى للبعض أن الله تعالى يزرى بالشعر ويغض من شأن المبدعين من الشعراء •

وتصدى لهذه الرؤية يفندها ، ويبين عوارها أولئك البصراء بما وراء النصوص المدركون لسياقاتها • منهم الجاحظ الذى نقل عن أبى عبيد — فى سياق حديثه عن أثر الشعر فى الحياة الاجتماعية للعرب : « أن ليلى — أو غتيلة — بنت النضر بن الحارث عرضت للنبى صلى الله عليـــه وسلم — وهو يطوف بالبيت — واستوقفته ، وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها • وقال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : لو كنت سمعت شعـــرها هذا ما قتلته»[1] وقد ألمح من خلال سوق هذه القصة الى خطل هذه الرؤية ، اذ كان خليقا بالنبى صلى الله عليه وسلم — لو سلمت من الخطل — أن لا يسمع • وأن لا يكون للشعر فى نفسه ما ينطقه بالذى نطق به •

ومنهم الامام عبـــد القاهر الجرجانى الذى أبان عن هذا الخطل بالتصريح فى مناقشـــة امتد مداها ، واتسع نطاقها ، ولم يدع حاجة لمستزيد[2] •

وفى النثر : ورد بشـــأن ما اتخذ منه مطية لترويج باطل — وهو السجع — حديث لرســـول الله صلى الله عليه وسلم يقـــول : (أسجع كسجع الجاهليـــة)[3] انكارا على من اعترض على قضاء رسول الله صلى

---

(١) البيان والتبيين — عمرو بن بحر الجاحظ — تحقيق عبد الســـلام هارون : ٤٣/٤ — ٤٤ — ط الخانجى وينظر هامش رقم (٤) ص ٤٣ .

(٢) دلائل الاعجاز — تصحيـــح وتعليق — أحمد مصطفى المراغى : ١٧ — ٣٠ ط ثانية بدون .

(٣) البيان والتبيين : ٢٨٧/١ . وفى بعض الروايات (اسجعا كسجع الكهان) ينظر الطراز — يحيى بن حمزة العلوى : ٢٠/٣ ط دار الكتب العلمية — بيروت .

الله عليه وسلم فى الجنين بغرة — عبدا أو أمة — بقوله : أرأيت من لا شرب ، ولا أكل ، ولا صاح ، ولا استهل • أليس مثل ذلك يطل ؟ •

لقد تعلق من يقفون عند السطح بمنطوق هذا الحديث الشريف فراحوا يغضون من شأن السجع ويزرون بمن جاشت خواطره ففاضت على لسانه قولا تنبعث منه الموسيقى ، ويوشيه النغم •

وانداحت الدائرة فشملت الباحثين فى أمر الاعجاز القرآنى فرأيناهم ينفون عن القرآن أن يكون محتويا على السجع ، ويسمون ما جاء منه مسجعا فواصل ، وسنعرض مقولة هؤلاء ، وأولئك لنرى كيف استحالت الغفلة حجابا يحول بينهم وبين السياق الذى ورد فيه الحديث المذكور ، ويتمثل الازراء بالنثر المنغم فى قول من قال لعبد الصمد بن الفضل الرقاشى : « لم تؤثر السجع على المنثور » ؟[1] •

ولعله لا يخفى ما فى هذا التساؤل من تهوين لطريقة الأداء ، وتحقير لما فى الكلام من ايقاع ونغم • وقد أدرك الرقاشى ما فى السؤال من تعجب يومىء الى تحقير منهجه فى الافضاء بما يعتمل فى جوانحه فأجابه قائلا : « ان كلامى لو كنت لا آمل فيه الا سماع الشاهد لقل خلافى عليك ، ولكنى أريد الغائب والحاضر ، والراهن والغابر ، فالحفظ اليه أسرع • والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد ، وبقلة التفلت ، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشرة ، ولا ضاع من الموزون عشره »[2] •

وعلى الرغم مما فى هذا الجواب من بيان لما يفعله الكلام الموقع بنفس المتلقى حتى ينتقش فى ذاكرته مضى المتسائل فى غيه فأورد الحديث

---

(١) البيان والتبيين : ١/٢٨٧ .

(٢) نفسه .

الشريف الذى أثبتناه هنـــا ، وفى حسبانه أنه كفيل بدفع الرقاشى الى العدول عن منهج الايقـــاع فى القول فلم يكن أمامه الا أن يكشف عن قصور فى النظر وقف بالمتسائل ومن كان على شاكلته دون ادراك السياق الذى استنبت هذا الحديث الشريف فى روض البياض النبوى فقال فى أدب جم : « لو أن هذا المتكلم لم يرد الا الاقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس ، ولكنه عسى أن يكون أراد ابطال حق فتشادق فى الكلام »[1] .

ولما تمثله اجابة الرقاشى من أصـــالة الرأى ، وقوة الادراك لأثر موسيقى الكلام المنثور غير المرســـل فى نفس المتلقى ، وسياق الحديث الذى لم يفطن السطحيـــون الى مرماه ساق الجاحظ الحوار بينه وبين عائبيـــه فى اطار حديث ممهور بعنوان « باب آخر من الأسجـــاع فى الكلام » . ومهد له بذكر أقوال مأثورة لفصحاء العـــرب وبعضهم من الصحابة ، وبعضهم هو أفصح من نطق بالضاد وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتبع الحوار بما يؤكد مضمونه فقـــال : « وقال غير عبد الصمد : وجدنا الشعر من القصيد والرجز قد سمعه النبى صلى الله عليه وسلم فاستحسنه ، وأمر به شعراءه ، وعامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالوا شعرا قليلا كان ذلك أم كثيرا ، واستمعوا ، واستنشدوا ، فالسجع ، والمزدوج دون القصيد والرجز فكيف يحل ما هو أكثر ، ويحرم ما هو أقل » ؟ .

وليس يخفى أن ما ذكره الجاحظ فى هذا البـــاب من قول الرقاشى وغيره انما هو من قبيل الاستدلال النظرى وهو — على فرض الاكتفاء به — كفيل بتبديد ما أثارته رياح الرؤى القاصرة من غيـــوم العيب على هذا اللون من الكلام ولكن الجاحظ لم يكتف به بل تجاوزه الى ما يمكن أن نسميه بالاستدلال التطبيقى حيث ذكر أن الكلام المرســـل قد يئوده

---

(١) نفسه .

المعنى فيبقى جبيس المنايا أو رهين العدم الى أن يتاح له طائر الايقاع فيحمله على جناحيه محلقا به فى أفق الوجود الرحب فنقل عن بعضهم أن السجع يكون مقبـــولا « اذا لم يطل ذلك القول ، ولم تكن القوافى مطلوبة مجتلبة ، أو ملتمسة متكلفة ، وكان ذلك كقول الأعرابى لعامل الماء : حلئت ركابى ، وخرقت ثيابى ، وضربت صحابى » •

وفى سياق هذه القصة ــ قصة الأعرابى الذى يشكو لعامل الماء ــ ذكر الجاحظ أن العامل ظن أن الأعرابى يخدعه عن نفسه بالسجع فأنكر عليه قائلا : « أو سجع أيضا » ؟ فلم يسع الأعرابى الا أن يتساءل قائلا: « فكيف أقول » ؟ ثم مضى الجاحظ يبين ومض هذا الاستفهام وفحواه بما مضمونه أن الكلام المرسل لا ينهض بالمعنى الذى قصـــده الأعرابى فقال : « لأنه لو قال حلئت ابلى ، أو جمالى ، أو نوقى ، أو بعرانى ، أو صرمتى لكان لم يعبـــر عن حق معناه وانما حلئت ركابه فكيف يدع الركاب الى غـــير الركاب ؟ وكذلك قوله : وخرقت ثيـــابى ، وضربت صحابى »[1] •

وليس بخاف على ذى نظر أن الجاحظ يشير الى دقائق الفروق بين الألفاظ المترادفة على معنى واحد ليدرك القارىء أن الألفاظ المرادفة لما استعمله الأعرابى لا تنهض بمراده •

فلفظ الابل ــ وان دل على ما يدل عليـــه لفظ الركاب من المعنى اللغوى العام وهو الجنس المعروف من الحيوان ــ لا يوازيه ، اذ ليس كل الابل تصلح للركوب ، ومثله لفظ النوق وما رادفه وكذلك لفظ الثياب فانه ــ وان دل على ما يلبسه الانسان كالقمصان والحلل ــ يتسع ليشمل

---

(١) البيان والتبيين : ١/٢٨٧ ــ ٢٨٨ .

كل ما على الأعرابى مما يلبس لحظة التدافع ، مع من يمنعون ركابه من ورود الماء ، ويضربون أصحابه[١] .

أما لفظة الصحاب فانها — وان تلاقت مع الرفاق والأصدقاء فى المعنى العام — فانها أدق فى دلالتهـا على ما يريده الأعرابى ، اذ هى تدل على الأنس المشفوع بالمودة بخلاف لفظ الرفاق فانه يقف عند حد الأنس بالرفيق ، وبخلاف لفظ الأصدقاء فانه — وان دل على المحبة — لا يدل على الأنس ، فقد لا يصحب المرء صديقه فى سفره[٢] .

ويستطرد الجاحظ فى الحديث عما وقع من الكلام موزونا جاريا فى نغمه وتوقيعه على نسق الشعر وليس بشعر ، لأنه يجرى على الألسنة اتفاقا ، ولابد فى الشعر من القصـد والمقدار الذى يصدق عليه وصف الشعر ثم يعود الى الاسـتدلال النظرى فيقول : « وكان الذى كره الأسجاع بعينهـا — وان كانت دون الشعر فى التكلف والصنعة — أن كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون اليهم ، وكانوا يدعون الكهانة وأن مع كل واحـد منهم رئيا من الجن ... كانوا يتكهنـون ، ويحكمون بالأسجاع ... قالوا فوقع النهى فى ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية ، ولبقيتها فيهم ، وفى صدور كثير منهم فلما زالت العلة زال التحريم . وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فيكون فى تلك الخطب أسجاع كثيرة فلا ينهونهم »[٣] .

---

(١) فى القاموس : الثوب : اللباس ، والقميص معروف ولا يكون الا من قطن ، والحلة ثوب له بطانة ولا يخفى ان كلمة ثوب أوسع معنى من هذا وذاك .

(٢) فى القاموس : صحبه : عاشره ، والرفيق المرافق جمعه رفقاء فاذا تفرقوا ذهب اسم الرفقة . والصديق : الحبيب . للواحد والجمع . ولا يخفى ان الصحبة بمعنى المعاشرة تجمع بين المرافقة والمودة بخلاف الرفيق والصديق كما بينا .

(٣) البيان والتبيين : ١/٢٨٩ — ٢٩٠ .

ويوغل الجاحظ فى الاستدلال النظرى فيستشهد بما يجرى من السجع فى قصص قصاص البصرة ويتردد على مسامع الفقهاء ، دون نكير ، وهو فى هذا وذاك يلمح الى تواطؤ أهل الحل والعقد من مفكرى هذه الأمة على أن السجع لا هجنة فيه ، ولا معاب على قائله •

وقد ظاهر الجاحظ فى رؤيته تلك من حيث أثر السجع ، وتخريج الحديث الشريف ببيان وجهة الانكار فيه — ظاهره فى تلك الرؤية كثيرون من علماء البيان منهم ابن وهب — صاحب البرهان فى وجوه البيان المسمى بنقد النثر(١) — وابن الأثير(٢) ، وغيرهما مما لا نرى داعية لذكره •

وعلى الرغم من تجلية وجه الحقيقة ، وازالة وصمة العيب عن وجه السجع فقد رأى بعض الحراص على نصاعة أسلوب القرآن ونقائه مما يخدش وجه الاعجاز فيه تنحية السجع ونفيه من القرآن الكريم •

وأول من وضع قدمه على هذه الطريق أبو الحسن على بن عيسى الرمانى (٣٨٦ هـ) حيث طالعنا بذلك فى كتابه الموسوم « بالنكت فى اعجاز القرآن » ، اذ جعل البلاغة وجها من وجوه سبعة للاعجاز ، وأقام تلك البلاغة على عشر دعائم أسماها أبوابا ، وأسمى الخامس منها باب الفواصل وفيه قرر أن : « الفواصل حروف متشاكلة فى المقاطع توجب حسن افهام المعانى ، والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن

---

(١) ينظر : البرهان فى وجوه البيان او نقد النثر المنسوب لقدامة — تحقيق / د.طه حسين ، والعبادى : ١٠٧ ط وزارة المعارف سنة ١٩٣٩ .

(٢) ينظر : المثل السائر — ضياء الدين بن الأثير — تحقيق د.احمد الحوفى ، د.بدوى طبانة : ٢١١/١ ط اولى — نهضة مصر سنة ١٩٦١ .

الفواصل تابعة للمعانى ، وأما الأسجاع فالمعانى تابعة لها ... اذ كان الغرض انما هو الابانة عن المعانى التى الحاجة اليها ماسة ، فاذا كانت المشاكلة وصلة اليه فلا بلاغة ، واذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنة ، لأنه تكلف من غير الوجه الذى توجبه الحكمة »[1] .

والنظرة العجلى فى هذه المقولة تقفنا على أمور :

— أولها : أن الابانة عن المعانى هى الغرض الذى يسعى المتكلم لتحقيقه فما تحقق به الغرض من الكلام فهو البليغ ، وما لم يتحقق به فهو خارج عن اطار البلاغة .

— ثانيها : أن المقاطع المتشاكلة فى الحروف نوعان : أحدهما يوجب افهام المعانى والثانى لا يوجب حسن افهامها ، والأول يسمى فاصلة ، والثانى يسمى سجعا .

— ثالثها : أن الفاصلة صورة صادقة لتأدية معنى قصد بيانه للمخاطب فجاءت تابعة له وأن السجع ثمرة تماثل صوتى هو فى بؤرة الاهتمام من المتكلم فجاء المعنى تبعا له .

والمتلقى يميز بين الفاصلة والسجع بالمصدر الذى فصل عنه القول ، فان كان المصدر الهيا فهى الفاصلة : لما تحفل به من معنى ، وان كان بشريا فهو السجع ، لأنه لا يعدو أن يكون بناء صوتيا لا يرتكز على أساس من المعنى . وبعبارة أخرى : الفاصلة جسد أبدعه الخالق القادر من أجل روح برأها لتحل فيه،فهو غير مقصود لذاته،والسجع هيكل صنعه المثال لا لروح تسكنه بل للاستهواء بتناسق صورته فهو مقصود لذاته ،

---

(١) النكت — ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن — تحقيق محمد خلف الله ، زغلول سلام : ٧٥ ط ثالثة — دار المعارف .

فان تراءى وراءه معنى كان هزيلا لا تجتليه العين فى يسر : لأنه من حيث القصد فى الحاشية ٠

وانما كان السجع بهذه المثابة — فى رؤية الرمانى — لأنه : « انما ٠٠ أخذ من سجع الحمامة وذلك أنه ليس فيه الا الأصوات المتشاكلة كما ليس فى سجع الحمامة الا الأصوات المتشاكلة ، اذ كان المعنى لما تكلف من غير وجه الحاجة اليه ، والفائدة فيه لم يعتد به فصار بمنزلة ما ليس فيه الا الأصوات المتشاكلة »(١) ٠

وما ذكرناه عن ميز المتلقى للسجع عن الفاصلة بناء على مصدر القول ليس استنتاجا وانما هو نص كلام الرمانى حيث قال عن السجع : « فمن ذلك ما يحكى عن بعض الكهان : والأرض والسماء ، والغراب الواقعة بنقعاء ، لقد قفز المجد الى العشراء ، ومنه ما يحكى عن مسيلمة الكذاب : يا ضفدع نقى ٠ كم تنقين ٠ لا الماء تكدرين ، ولا النهر تفارقين » ثم علق عليه قائلا : « فهذا أغث كلام يكون وأسخفه ، وقد بينا علته ، وهى تكلف المعانى من أجله ، وجعلها تابعة له من غير أن يبالى المتكلم بها ما كانت »(٢) ٠

هذا ما قاله عن السجع أما الفاصلة فقد بين نوعيها ، ومثل لكل منهما حيث قال : « والفواصل على وجهين : أحدهما على الحروف المتجانسة ، والآخر على الحروف المتقاربة فالحروف المتجانسة كقوله تعالى : (طه — ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى — الا تذكرة لمن يخشى) ٠٠ الآيات ، وكقوله : (والطور — وكتاب مسطور) ٠٠ الآيات٠ وأما الحروف المتقاربة فكالميم من النون كقوله تعالى : (الرحمن الرحيم

---

(١) النكت — ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن : ٩٨ ٠

(٢) النكت — ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن : ٩٧ — ٩٨ ٠

مالك يوم الدين) وكالدال مع الباء نحو (ق — والقرآن المجيد) ثم قال : (هذا شيء عجيب) » . ثم علق الرمانى على هذا بقوله : « وانما حسن فى الفواصل الحروف المتقاربة ، لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد فى تمييز الفواصل والمقاطع لما فيه من البلاغة وحسن العبارة »[٣] ثم تابع قائلا : « والفائدة فى الفواصل دلالتها على المقاطع ، وتحسينها الكلام بالتشاكل ، وابداؤها فى الآى بالنظائر »[١] .

ولسنا بحاجة بعد هذا لنعرف المورد الذى يمتح منه كل من السجع ، والفواصل . فالأول مورده كلام البشر سواء أكان ممن يمتهن الكهانة أم ممن عداهم ، لأن مسيلمة — وان ادعى النبوة — لم يعرف بالكهانة . أما الثانى فمورده القرآن الكريم . والنتيجة التى يستنبطها المرء من متابعة الرمانى أن التشاكل فى المقاطع ان كان فى قول البشر فهو سجع ، ومثله لا يكون فى القرآن الكريم لجفاف نبع البلاغة ، أو لعدم انبجاس النبع البلاغى من ثناياه ، وان كان فى القرآن الكريم فهو فواصل ، وهى من أبواب البلاغة التى هى من أوجه الاعجاز .

وما قرره الرمانى فى هذا الحديث الذى نقلناه عنه هنا — وهو كل ما قاله فى باب الفواصل — يدعونا الى التساؤل : أيسمى كل تشاكل فى المقاطع سجعا اذا كان من كلام البشر ولو كان المتكلم به محمدا رسول الله ؟ واذا سميناه سجعا أيكون من المعيب المتكلف ؟ واذا لم يكن حديث رسول الله المسجوع معيبا فهل ينتفى العيب من الكلام المسجوع المطبوع لغير الرسول الكريم ؟ .

الذى يبدو لنا أن الرمانى لم يعالج هذا الجانب فى تناوله لظاهرة التشاكل فى المقاطع وانما كان معنيا ببلاغة القـرآن فدعاه حرصه على

---

(١) نفسه .

نقاء أسلوبه من التكلف الى نفى السجع عنه ، وتسمية ما جاء على صورته من أسلوبه فاصلة • وهذا نوع من القصور فى التناول •

ومن الغريب حقا أن هذا التناول رغم قصوره كان غراسا فتن به الباحثون فى الاعجاز بعد الرمانى فتعهدوه بالرعاية حتى صـــار دوحة فينانة لا يستطيع أن يغفلها باحث : ان فى الاعجاز ، وان فى النثر الموقع •

ومن الذين تولوه برعايتهم الباقلانى (٤٠٣ هـ) فى كتابه اعجاز القرآن • وفى هذا الكتاب عقد فصلا عنوانه (فصل فى نفى السجع من القرآن) ، استعرض فيه مذهب الأشاعرة — وهو منهم — والمذهب المقابل له ، وبين ما يتكىء عليه المذهب المخالف من أدلة ثم عاد لينقض هذه الأدلة بما أوتى من قدرة على الجدل حتى ليوشك العجل أن يميل الى وجهته •

وفيما يتصل ببيان الوجهتين وأدلة المخالفين قال : « ذهب أصحابنا كلهم الى نفى السجع من القرآن ، وذكره الأشعرى فى غير موضع من كتبه ، وذهب كثير ممن يخالفهم الى اثبات السجع فى القرآن ، وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التى يقع بها التفاضل فى البيان والفصاحة كالتجنيس والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التى تعرف بها الفصاحة » •

— « وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هارون عليهما السلام ، ولمكان السجع قيل فى موضع هارون وموسى ، ولما كانت الفواصل بالواو والنون قيل موسى وهارون) •

— « قالوا : هذا يفارق أمر الشعر ، لأنه لا يجوز أن يقـــع فى الخطاب الا مقصودا اليه ، واذا وقع غير مقصود اليه كان دون القدر الذى يسمى شعرا ، وذلك القدر ما يتفق وجوده من المفحم كما يتفق

وجوده من الشاعر ، وأما ما فى القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق كله غير مقصود اليــه ، **ويبنون الأمر فى ذلك على تحــديد معنى السجع** • قال أهل اللغة : هو موالاة الكلام على وزن واحد •

قال ابن دريد : سجعت الحمامة معناه رددت صوتها ، وأنشد :

طربت فأبكتــك الحمــام الســواجع
تميل بها ضحوا غصــون نوائع »[1]

ولعله لا يخفى ما ترسمه هذه الفقرة من حديث الباقلانى فى هذا الفصل من خطوط تبرز معالم هذه القضية من منظور المخالفين وأدلتهم بعد التمهيد الخاطف بذكر رأيه وجماعته •

فالأشاعرة ينفون وجود السجع ، والآخرون يثبتونه ، ويعتمدون فى هذا الاثبات على ثلاثة أدلة واحد منها قائم على الادراك الذوقى أو الاحساس الجملى ، والآخران يقومان على الادراك العقلى الذى يهدى اليه النظر والتأمل • ونوضحها فيما يلى :

ــ الأول : يقوم على الادراك الذوقى ، فهو ذلك الاحساس بأثر السجع على نفس المتلقى فهو نمط تعبيرى يضفى على المعنى بعدا جماليا يتمثل فى الجرس الذى يجده القارىء فى الجناس وهو نمط يحظى بالقبول مثل بقية ألوان الفن البلاغى ، وليس السجع بأقل منه ثراء ، ومن ثم فهو خليق بأن يكون من خصائص القول البليغ •

ــ الثانى : وهو باعتراف الباقلانى أقوى الأدلة ــ يقــوم على الادراك العقلى ، وينتهى اليه النظر السديد ، ويتمثل فيما اتفق عليه

---

(١) اعجاز القرآن ــ أبو بكر الباقلانى ــ هامش الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى : ١/١٠٧ ــ ١٠٨ ط الحلبى ــ رابعة بدون ، وتحقيق السيد صقر : ٥٧ ط دار المعارف ــ خامسة بدون .

المعارفون من أفضلية موسى على هارون على الرغم من أخوة النسب والرسالة ، ومع هذه الأفضلية المسلمة فالنسق القرآنى يقدم هارون على موسى فى حكاية قصتهما مع فرعون تارة ، ويقدم موسى على هارون تارة أخرى ، ويلحظ المتأمل للسياق أن التماثل الصوتى أو الجرس فى المقاطع هو السر الكامن وراء هذا النسق .

وهنا ننتهى الى الدليل الثالث وهو لا يقل فى قوته عن الثانى ويستمد كينونته من كثرة وجود السجع فى القرآن ، ولا يمكن حملها على العفوية التى يصح معها القول بانتفائه من النسق القرآنى كما ينتفى منه الشعر، وان وجد فى بعض آياته ما يمكن أن يلحظ فيه من وزن يتساوق مع الوزن الشعرى فى صورة من صوره لعدم القصد اليه ، ويبرر عدم القصد هذا قلة ما يلحظ منه .

. . .

تلك هى الأدلة التى يستند اليها المثبتون للسجع فى أسلوب الذكر الحكيم ، وهى بلا ريب مشرقة مضيئة . ولكن الباقلانى لم يجد فيها مقنعا فراح ينقضها بما خال أنه الصواب فقال : « وهذا الذى يزعمونه غير صحيح ، ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز ، ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز ، وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفى الشعر ، لأن الكهانة تنافى النبوات ، وليس كذلك الشعر ؟ .

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للذين جاءوا وكلموه فى شأن الجنين ... أسجاعة كسجاعة الجاهلية ، وفى بعضها أسجعا كسجع الكهان ؟ ... والذى يقدرونه أنه سجع فهو وهم ، لأنه قد يكون

الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعا ، لأن ما يكون به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض ، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى به السجع ، وليس كذلك ما اتفق مما هو فى تقدير السجع من القرآن : لأن اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى »[1] .

وخلاصة ما قاله الباقلانى هنا يمكن بلورته فى أمرين :

— أن السجع توأم الشعر ، ومادام القرآن منزها عن الشعر فقد لزم تنزيهه عن السجع ، لأنه نمط من أنماط التعبير كما أن الشعر نمط منه ، وهذا وذاك مما جرت به ألسنة البشر ، ولا يدخل فى باب الاعجاز ، لأن الاعجاز يعنى العجز عن الاتيان بقول على النسق القرآنى ، وهذا النسق مخالف لكل ما جرت به الألسنة من ألوان التعبير شعرا كان ذلك أو سجعا ، بل ان تنزيه القرآن عن السجع أولى لارتباطه بالكهانة ، وما كان انكار النبى صلى الله عليه وسلم على من راجعه القول فى دية الجنين الا لأن عبارته مسجوعة .

— أن ما أسماه المخالفون من فواصل القرآن سجعا هو نمط واحد من أنماط فواصله ، وقد دفعهم الوهم الى خلع هذا الاسم عليه ، اذ رأوه على صورته ، والوهم لا يهدى الى شاكلة الصواب ، فالكلام — كما قال — قد يكون على مثال السجع وان لم يكن سجعا ، لأن ما يكون به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض ، والبون شاسع بين هذا النمط وما كان من السجع على صورته : الأول براء من التكلف ، لأن اللفظ فيه تابع للمعنى ، والثانى خدن التكلف أو قرينه ، لأن المعنى فيه تابع للفظ .

---

(١) اعجاز القرآن — الباقلانى — تحقيق السيد صقر : ٥٧ — ٥٨ ط دار المعارف — خامسة و ١١٢/١ — ط الحلبى على هامش الاتقان .

لقد بنى الباقلانى نظرته فى المفارقة بين الفواصل والسجع على أساس أن السجع ينقسم الى قسمين :

١ ــ مرضى تسيغه النفس وهو ما تساوت فقره أو تقاربت ، وهذا النوع توأم الشعر وهو الحرى بأن يطلق عليه اسم السجع ، ويكون لقبا له مترجما عن حقيقته كقول أبى طالب بين يدى سيف بن ذى يزن : « أنبتك منبتا طابت أرومته ، وعزت جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه ، ونبت زرعه ، فى أكرم موطن ، وأطيب معدن »[١] .

٢ ــ مقلى تأباه النفس ، ولا يسيغه الذوق وهو ما تفاوتت فقره ، وهذا التفاوت يضفى عليه طابعا من الاضطراب يدفع النفس الى ابائه ، والذوق الى عدم اساغته .

فالسجع ــ عند الباقلانى ــ مقيس على الشعر : ما تساوت فقره خليق بأن يسمى سجعا ، وما تفاوتت فقره حرى بأن يسمى خبطا ، وهذا هو ما قرره بقوله : « ومتى وقع أحد مصراعى البيت مخالفا للآخر كان تخليطا وخبطا ، وكذلك متى اضطرب أحد مصراعى الكلام المسجع وتفاوت كان خبطا »[٢] .

وما كان من الفواصل على صورة القسم الأول لا يسمى سجعا ، لأن « القرآن مخالف لنحو هذه الطريقة مخالفته للشعر وسائر أصناف الكلام الدائر بينهم »[٣] وما كان منها على صورة القسم الثانى لا يسمى سجعا أيضا ، فقد علم أن فصاحة القرآن غير مذمومة فى الأصل فلا يجوز أن يقع فيها هذا الوجه من الاضطراب »[٣] .

---

(١) اعجاز القرآن : ٦١ وفى هامش رقم (١) من الصفحة المذكورة أن هذا النص من كلام عبد المطلب كما فى دلائل النبوة : ١/٢٤ .

(٢) اعجاز القرآن : ٥٩ .

(٣) نفسه : ٦١ .

ومخالفة القرآن لما ينطق به العرب هاجس يؤرق فكر الباقلانى ، ومن ثم يلهج به لسانه كثيرا كما تراءى لنا مما سبق ، وكما يتراءى لنا من قوله : « ولو كان الكلام الذى هو فى صورة السجع منه لما تحيروا فيه ، وكانت الطباع تدعو الى المعارضة ، لأن السجع غير ممتنع عليهم بل هو عادتهم فكيف تنقض العادة بما هو نفس العادة وهو غير خارج عنها ، ولا مميز منها » ؟[1] .

وامعانا فى اقصاء السجع عن ساحة القرآن قال : « وقد يتفق فى الشعر كلام على منهاج السجع وليس بسجع عندهم ، وذلك نحو قول البحترى :

تشكى الوجى والليـــل ملتبس الدجا
غريرية الأنساب مرت بقيعها[2]

ثم ذكر أنه رأى بعض مخالفيه يزعم أنه سجع مداخل ، والتمس له من القرآن نظائر فى آيات ذكرها منها قوله تعالى : (ثم يوم القيامة يخزيهم ، ويقول أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم) . ثم رفض أن يكون ذلك سجعا فقال : « ولو كان ذلك عندهم سجعا لم يتحيروا فيه ذلك التحير حتى سماه بعضهم سحرا ، وتصرفوا فيما كانوا يسمونه به ويصرفونه اليه ... وهم فى الجملة عارفون بعجزهم عن طريقه ، وليس

---

(١) نفسه : ٦١ .

(٢) الوجى : أن يتشكى البعير باطن خفه ، والغرير فحل من الابل ، والابل الغريرية منسوبة اليـــه والمرت المكان القفر ، والبقيع من الأرض : المكان المتسع فيه أروم شجر من ضروب شتى .

القوم بعاجزين عن تلك الأساليب المعتادة عندهم المألوفة لديهم »[١] .

ونتابعه فى تفنيده لآخر ما قاله المخالفون فنجده يقول : « وأما ما ذكروه فى تقديم موسى على هارون فى موضع ، وتأخيره عنه فى موضع لمكان السجع ، ولتســاوى مقاطع الكلام فليس بصحيح ، لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه ، وهى أن اعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحدا من الأمر المصعب الذى تظهر فيه الفصاحة وتتبين البلاغة »[٢] .

ولم يكتف الباقلانى بتفنيد ما قاله المخالفون فى شأن السجع ماثلا فى القرآن بل مضى الى ما هو أبعد من ذلك بتفنيد منطلقهم فى التسمية ذاتها فقال : « ولا معنى لقولهم ان ذلك مشتق من سجع الحمامة وترديد صوتها على نسق واحد وروى غير مختلف ، لأن ما جرى هذا المجرى لا يبنى على الاشتقاق وحده ، ولو بنى عليه لكان الشعر سجعا ، لأن رويه يتفق ولا يختلف »[٣] .

وبانعام النظر فى هذا التفنيد نلحظ أنه يدور على ثلاثة محاور :

ــ الأول :

أن السجع ــ سواء أكانت مقاطعه متفاوتة أو متساوية ــ لا يصح وجوده فى القرآن ، لأنه يقدح فى اعجازه من جهتين :

الأولى : أنه اذا كان متفاوت المقاطع كان هابطا لا يسيغه الذوق ، وفصاحة القرآن لا تتدنى الى هذا الدرك المقبوح .

الثانية : أنه ــ ان تساوت مقاطعه ــ كان توأم الشعر ، واذا نفى

---

(١) اعجاز القرآن : ١/١١٣ ــ ١١٤ ط الحلبى ــ ٦٠ ط دار المعارف .
(٢) اعجاز القرآن : ١/١١٥ ــ ١٦ ط الحلبى ــ ٦١ ط دار المعارف .
(٣) اعجاز القرآن : ١/١١٥ ط الحلبى ــ ٦١ ط دار المعارف .

الشعر عن ساحة القرآن كان نفى السجع عنها أولى ، لأنهما مما اعتاد القوم أن يجروا ألسنتهم بهما ، ومن المحال أن يكون القرآن معجزا لقوم تعودوا أن تجرى ألسنتهم بما يوجد مثله فيه •

وترتكز الجهة الثانية على تصور أن القرآن انما نزه عن الشعر ، ومثله المرضى من السجع لما فيهما من اتساق النغم يبعثه التوازن بين المصراعين فى هذا ، وذاك • وهو تصور يجانبه الصواب ، لأن الشعر انما نفى عن القرآن ، أو نزه القرآن عنه ، لأن مبلغه ليس بشـــاعر ، ولو احتوى القرآن على شىء من الشعر أو كان مبلغه ممن عهد منه قول الشعر أو يمكن له أن يقرضه لم يكن ثم فاصل بين ما أتى عن طريق الوحى ، وما جادت به القريحة عند سواد الناس ، ولوجدت أراجيف المغرضين سبيلا الى نفوسهم •

ويتأكد لدينا هذا المعنى اذا استحضرنا ما كانوا يقولونه من الطعن فيه على الرغم من وثاقة معرفتهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبـــل الرسالة ، فما جربوا عليه كذبا ولا تلقفت آذانهم منه شعرا ، ولا جلس الى معلم •

ويزداد هذا التأكد قوة اذا استحضرنا مع ذلك قوله تعالى : (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ــ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ، أفلا تعقلون)[1] ؟

ففى هاتين الآيتين ما ينم عن الاصرار على الطعن فيما ليس فيه

---

(١) سورة يونس : الآيتان : ١٥، ١٦ .

للطعن شبهة ويتجلى هذا الاصرار بصورة أوضح اذا استطعنا أن نستقبل ما فى الاستفهام من ايماضات التعجب والتوبيخ والتألم •

ولنا هنا أن نتساءل : وماذا كان يمكن أن يكون الحال لو عهدوا فى البلاغ أو فى المبلغ ما يهيىء لهم مدخلا الى العقول ؟ •

ولن نجشم أنفسنا عناء البحث عن اجابة هذا التساؤل فقد تكفل الزمخشرى — رحمه الله — ببيان ما يلقى لنا ضوءا نعرف به ما كان يمكن أن يكون حيث افترض سائلا يسأله عن سر مطلب هؤلاء المعاندين فأورد السؤال وانعطف يرد عليه فقال : « أما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا ؟ قلت : بلى ، ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز ، وكانوا يقولون : لو نشاء لقلنا مثل هذا ، ويقولون : افترى على الله كذبا • فينسبونه الى الرسول ، ويزعمون أنه قادر عليه وعلى مثله مع علمهم بأن العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجز ••• فان قلت : فما كان غرضهم — وهم أدهى الناس وأنكرهم فى هذا الاقتراح ؟ قلت : الكيد والمكر • أما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك ، وأنك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر ، وأما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ، ولاختبار الحال ، وأنه ان وجد منه تبديل فاما أن يهلكه الله فينجوا منه ، أو لا يهلكه فيسخروا منه ، ويجعلوا التبديل حجة عليه ، وتصحيحا لافترائه على الله »[1] •

ومن هنا نستطيع أن نقول باطمئنان : ان تنزيه القرآن عن الشعر

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل — محمود بن عمر الزمخشرى : ٢٢٩/٢٠ ط مصطفى الحلبى ، وينظر الجامع لأحكام القرآن — ابو عبد الله محمد بن احمد القرطبى — : ٣١٥٨/٤ — ٣١٦٠ ط الشعب .

لم يكن لما فيه من نغم ينبثق من اعتدال المصاريع فى المقدار الذى يعتبر فى عرفهم شعرا بل لما فيه من تهيئة الشبهة لتصديق ما يرجف به المغرضون من كونه نسيجا بشريا ، ولا يتأتى ذلك الا بتهويمات الخيال الشعرى كما يلمع الى ذلك قوله تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاوون — ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون)[1] • وليس كذلك النثر وان حامت به موسيقاه حول حمى الشعر لما بينهما من فارق جوهرى يتمثل فى : « أن الشعر انفعال ، والنثر تفكير »[2] • فاذا بدا النثر متوازن المقاطع مشبعا بالنغم لم يكن فيه من الانفعال ما يدلف به الى حظيرة الشعر ، ولم تستقم به حجة على كون القرآن نتاج قريحة بشرية •

ولنا أن نزيد على ما سبق فنقول : ان السجع نسق أسلوبى يستهدف مخاطبة الشعور الانسانى فاضت به السليقة العربية المطبوعة ، ولحظه المنظرون لوسائل التأثير فى الخطاب الأدبى كما لحظوا غيره فيما أبدعته تلك السليقة ، وسموا هذه الوسائل باسم البديع ، والنأى عن وسيلة منها ليس أمارة الاعجاز ، وانما أمارته أن يستخدم تلك الوسائل فى مسلك يعز على من يعرفها ، ولا يقدر على استخدامها فى مثل هذا المسلك •

فالقول بنفى السجع من القرآن دون غيره من ألوان البديع كالتجنيس ، ورد العجز على الصدر ينطوى على رؤية غائمة تفصل بين المتناظرات على غير بينة ، وأى بينة فى أن يدعى فى السجع أنه مما اعتادوا أن يجروه على ألسنتهم ، وتندى به أفانين قولهم ؟ •

---

(١) سورة الشعراء .

(٢) الأدب وفنونه — د. عز الدين اسماعيل : ٩٩ ط دار الفكر العربى — ثامنة سنة ١٩٨٣ .

(٣) اعجاز القرآن — الباقلانى — تحقيق السيد صقر : ١٠١ ط خامسة — دار المعارف .

أليس السجع كالتجنيس والاستعارة والتشبيه ؟ فلماذا كان التسليم بوجوده فى القرآن خدشا لوجه الاعجاز دون هذه ؟ .

لقد عقد الباقلانى فصلا للبديع صدره بتساؤل أو بسؤال محتمل ليجيب عليه فقال : « هل يمكن أن نعرف اعجاز القرآن من جهة ما يتضمنه من البديع » ؟ ثم عقب هذا التساؤل بعرض صور قرآنية للاستعارة وغيرها من فنون البيان العربى مما سموه بالبديع ، ولما فرغ من عرضها قال : « ووجوه البديع كثيرة جدا فاقتصرنا على بعضها ... وقد قدر مقدرون أنه يمكن استفادة اعجاز القرآن من هذه الأبواب التى نقلناها ، وأن ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه ، وليس كذلك عندنا ، لأن هذه الوجوه اذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل اليها بالتدرب والتعود ... والوجوه التى نقول ان اعجاز القرآن يعلم منها فليس مما يقدر البشر على التصنع له ، والتوصل اليه بحال »[1] .

وفى هذا القول اقرار بوجود كثير من هذه الوجوه فى القرآن — كما يتضح من التمثيل لها منه — وان لم تكن مؤثرة فى الاعجاز كما أنها — باعترافه — يمكن التوصل اليها بالتدرب والتعود . فلماذا نفى وجود السجع دونها مع اشتراكها واياه فى اعتيادهم عليها ؟ .

لست أدرى فرقا بين ما يخلعه السجع والتجنيس من أثر جمالى على الكلام حتى يجاز الثانى دون الأول ؟ .

بل لست أدرى كيف تراءى له التصريح والتجنيس فى قوله تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم

---

(١) اعجاز القرآن — الباقلانى — تحقيق السيد صقر : ١٠٧ ط خامسة — دار المعارف .

مبصرون — واخـوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون) وقـوله : (ما أنت بنعمة ربك بمجنون — وان لك لأجرا غير ممنون) وفى غير ذلك مما ذكره من آيات كريمات تراءت له مناظرة لقول ابن المعتز :

ألم تجزع على الربع المحيـل
وأطـلال وآثـار محـول

أيمكن أن يقال — على نهجه — ان وجود هذه الألوان — بما فيها التجنيس والترصيع — فى القرآن تجعله داخلا فى حيز ما يستطيعون من فنون القول فينتفى بذلك اعجازه كما ينتفى بوجود السجع فيه ؟ والا فما الفرق ؟ .

بل كيف يكون الترصيع فى القرآن وهو بالشعر ألصق ؟ أليس — كما يقولون — جعل العروض مقفاة تتفية الضرب[1] ؟ بل انه — كما قال العلوى — : « انما يرد فى الشعر لا غير »[2] .

— الثانى :

أن السـجع قد ارتبط — فى تصـورهم — بالكهانة ، ولذا أنكره الرسول صلى الله عليه وسلم على المتشدق به ، وقد سـبق أن أوردنا ما يكشف خطأ هذا التصور فيما ذكره الرقاشى وغيره ، ومؤداه أن المتكلم أراد بعبارته ترويج باطله ، فلا حاجة لاعادته[3] .

— الثالث :

أن السجع قرين التكلف أو هو غالب عليه ، لأن المعنى يتبع فيه

---

(١) الايضاح — الخطيب القزوينى — تعليق عبـد المتعال الصعيدى : ٩٨/٤ — المطبعة النموذجية .

(٢) الطراز — يحيى بن حمزة العلوى : ٣٢/٣ تصـوير دار الكتب العلمية بيروت — عن ط المقتطف .

(٣) ينظر ص من هذا البحث .

اللفظ ، وليس كذلك : « ما اتفق مما هو فى تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى » .

وهذه العبارة تحمل معنى قول الرمانى — الذى سبق ايراده — : « الفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعانى ، وأما الأسجاع فالمعانى تابعة لها » .

وهذا التوافق ليس من توارد الخواطر ، وانما هو متابعة كشف عنها تقارب العبارتين الى درجة الاتحاد فى قوليهما ، وتأكدت لدينا تلك المتابعة عندما رأينا السيوطى يذكر فى تناوله لهذه القضية رأى الرمانى ، وعبارته ثم يقول : « وتبعه على ذلك القاضى البـاقلانى »[1] . وهى متابعة — فى رأينا — غير راشدة ، لأن فيها تعميما لا يخفى ، والا فبم يوصف قول أبى طالب — أو عبد المطلب — الذى مر بنا منذ قليل[2] ؟ .

بل بم يوصف ما جاء على هذه الصورة من كلام البلغاء وفى مقدمتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ، لقد تابع الباقلانى الأشعرى واحدا من المعتزلة ، ويبدو أنه أراد أن يكون أبعد منـه مدى فراح يقول : « وفرق بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود منه وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ . ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت افادة السجع كافادة غيره ، ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى »[3] .

ولست أدرى كيف ينتظم المعنى دون لفظ ؟ وبعبارة أخرى : كيف

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن — جلال الدين السيوطى : ٢ / ١٢٥ ط مصطفى الحلبى .

(٢) ينظر ص من هذا البحث .

(٣) اعجاز القرآن — الباقلانى — تحقيق صقر : ٥٨ — ط دار المعارف .

يوجد معنى بغير لفظ ؟ وأين يوجد ؟ أفى شىء غير دخيلة النفس ؟ وهل يمكن لانسان أن يستقرىء المعنى فى دخيلة صاحبه ؟ .

ولست أدرى كيف يرتبط المعنى بالسجع وتكون افادة السجع كفادة غيره ؟ .

لقد أراد الباقلانى بهذه العبارة أن يبين أن الحرص على تأدية المعنى فى اطار السجع ينتهى بالمتكلم الى التكلف فيفصل عنه القول غثا باردا ، لكنه عقد العبارة تعقيدا ظاهرا .

وكأنما رأى ابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) فيما قاله الباقلانى صورة الرمانى فعول على الرد عليه دون صاحبه ، اذ هو الأصل فقال : مفندا رأيه لما فيه من التعميم : « فأما قول الرمانى : ان السجع عيب ، والفواصل بلاغة على الاطلاق فغلط ، لأنه ان أراد بالسجع ما يكون تابعا للمعنى وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة والفواصل مثله ، وان كان يريد بالسجع ما تقع المعانى تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب ، والفواصل مثله »[1] .

وننبه هنا الى أنه أراد بالفواصل ما تقاربت حروفه فى المقاطع ، ولم تتماثل ، ولم يرد فواصل القرآن ، لأنه يعالج قضية السجع فى كلام البشر كما سيتضح لنا من عرض موقفه بعد قليل .

على أننا — ونحن نتابع الباقلانى فى نفيه للسجع عن القرآن — نراه يقول : « وأما الأمور التى يستريح اليها الكلام فانها تختلف . فربما كان ذلك يسمى قافية ، وذلك انما يكون فى الشعر ، وربما كان ما ينفصل عنه الكلامان يسمى مقاطع السجع ، وربما سمى ذلك فواصل ، وفواصل القرآن مما هو مختص بها لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب »[2] . وهذا قول يثير الانتباه ، اذ هو يعترف بأن هناك

---

(١) سر الفصاحة — ابن سنان الخفاجى — شرح الصعيدى : ١٦٦ — ط صبيح سنة ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م .

(٢) اعجاز القرآن : ٦١ ط دار المعارف .

ثلاثة أمور يستريح اليها الكلام : اثنان منها فى كلام البشر أحدهما يسمى قافية ويكون فى الشعر ، والثانى يسمى سجعا أو فواصل ويكون فى النثر ، والثالث لا يسمى الا بالفواصل والقرآن مختص بها .

وهذا القول لا يعدو أن يكون اصطلاحا ربما كان الدافع اليه تنزيه كلام الله أن يوسم بميسم بشرى ، ونحن لا نغض عنه النظر ، فقداسة الكتاب العزيز تلزمنا كل أدب معه بيد أنه اصطلاح تأدب لا تحقيق حقائق ، والا فلماذا يسمى كلام البشر سجعا أو فواصل ، ولا يسمى ما هو على شاكلته من القرآن الا فواصل ؟ .

ورحم الله ابن سنان حيث كشف عن هذه الغاية بقوله : « وأظن أن الذى دعا أصحابنا الى تسمية كل ما فى القرآن فواصل ، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبة فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم وهذا غرض فى التسمية قريب فأما الحقيقة فما ذكرناه ، لأنه لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام فى كونه مسجوعا ، وبين مشاركة جميعه فى كونه عرضا ، وصوتا ، وحروفا ، وكلاما عربيا ، ومؤلفا . وهذا مما لا يخفى فيحتاج الى زيادة بيان »[1] ، واذا استشرفت نفوسنا لما ذكره فلنبين :

أن الرجل قد عرض للسجع فى سياق حديثه عن المناسبة بين الألفاظ فى الصيغ فعرفه ثم ذكر رأى نقدة الكلام فيه ، والبرهان الذى يستند اليه كل منهم ، ثم أفصح عن رأيه هو فقال : « والمذهب الصحيح أن السجع محمود اذا وقع سهلا متيسرا بلا كلفة ولا مشقة » ومضى الى القول بأن ما ارتآه من شرط يجعل السجع محمودا ، ويحيل الخلاف بين

---

(١) سر الفصاحة — ابن سنان — تحقيق الصعيدى : ١٦٦ ط صبيح سنة ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م .

النقاد صوريه لا حقيقة له فقال : « فانا متى حمدنا هـذا الجنس من السجع كنا قد وافقنا دليل من كرهه ، وعملنا بموجبه ، لأنه انما دل على قبح ما يقع من السجع بتعمل وتكلف ، ونحن لم نستحسن ذلك النوع ، ووافقنا أيضا دليل من اختاره ، لأنه انما دل به على حسن ما ورد منه فى كتاب الله تعالى ، وكلام النبى صلى الله عليه وسلم والفصحاء من العرب ، وكان يحسن الكلام ، ويبين آثار الصناعة ، ويجرى مجرى القوافى المحمـودة ، والذى يكون بهـذه الصفات هـو الذى حمدناه واخترناه »[1] .

ومن هذا النص ندرك أن ابن سنان امتداد لخط الجاحظ ومن سبقه أو عاصره من الرمانى وغيره ولكنه أربى عليهم متجاوبا مع روح العصر فأدلى برأيه فى قضية وجود السجع فى القرآن فأثبته فيه ، وسماه باسمه غير منحرج ، وحينما رأى بعضهم يسمى ما فى القرآن منه فواصل أعاد تعريفه ، وبين أن من الفواصل ما يدخل فى اطاره ، ومنها مالا يدخـل فقال : « والذى يجب أن يحرر فى ذلك أن يقال : ان الأسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفصول على ما ذكرناه ، والفواصل على ضربين : ضرب يكون سجعا وهو ما تماثلت حروفه فى المقاطع ، وضرب لا يكون سجعا ، وهو ما تقاربت حروفه فى المقاطع ولم تتماثل[2] ، ولا يخلو كل واحد من القسمين — أعنى المتماثل ، والمتقارب — من أن يكون يأتى طوعا سهلا .. وبالضد من ذلك حتى يكون متكلفا . فان كان من القسم الأول فهو المحمود .. وان كان من الثانى فهو مذموم مرفوض . فأما القرآن فلم يرد فيه الا ما هو من القسم المحمود ، لعلوه فى الفصاحة»[3] .

---

(١) سر الفصاحة — ابن سنان — تحقيق الصعيدى : ١٦٤ ط صبيح سنة ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م .

(٢) ابن سنان يأخذ هنا تقسيم الفواصل عن الرمانى ، غير أنه لايجعلها خاصة بالقرآن مثله .

(٣) سر الفصاحة : ١٦٥ .

ففى القرآن فواصل تتماثل حروفها ، ويمكن — ولا بأس — أن تسمى سجعا ، وفيه أخرى تتقارب حروفها ، وهذه لا تسمى سجعا • والضربان من محاسن الكلام • ومثلهما قائم فى الكلام الانسانى غير أن المحمود منهما ما كان مطبوعا غير متكلف •

الى هنا نود أن نلفت النظر الى أننا بدأنا بالحديث عن النثر المنغم لنكشف عن رؤى نقدة الكلام فيه فعرفنا أنهم بين مستقبح له ومستحسن ثم دلف بنا — واياهم — الحديث عن وجود هذا اللون فى القرآن الكريم أو عدم وجوده ، لأنه النسق الأعلى من أنساق الكلام البليغ ، ووجدنا فى كلام ابن سنان ما ينضو قناع القبح عنه ، ويكشف عن ملامح الحسن فيه ، ويهيىء النفوس لتلقى القول بوجوده فى القرآن بالقبول •

ونود هنا أيضا أن نكشف عن وجهة أخرى ترى الحسن فى النثر المنغم تتخذ — على عكس الوجهة السابقة — من وجوده فى القرآن دليلا ساطعا على ما فيه من حسن يجعله مهوى الأفئدة فى كلام البشر ، كما أنه مهواها فى كلام الله عز وجل •

وفى هذه الرؤية ايماء الى أن تحاشيه ضرب من جسوة الطبع ، لجفاء مالا يجفى مثله من الحسن • ويمثل هذه الوجهة أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٥) • فقد عقد الباب الثامن فى كتابه « الصناعتين » للسجع والازدواج استهله بقوله : « لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا ••• ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن ، لأنه فى نظمه خارج من كلام الخلق ، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل فى أوساط الآيات فضلا عن تزاوج الفواصل منه » ومثل للنوع الأول بأمثلة منها قوله تعالى : (ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه) وللنوع الثانى بأمثلة منها قوله تعالى : (فاذا فرغت فانصب — والى ربك فارغب)

ثم بين أن ما فى القرآن من ذلك يفوق ما يشبهه من كلام البشر قائلا : « وكذلك جميع ما فى القرآن مما يجرى على التسجيع والازدواج مخالف فى تمكين المعنى ، وصفاء اللفظ ، وتضمن الطلاوة والماء لما يجرى مجراه من كلام الخلق »[1] .

ولست بحاجة الى التنبيه الى ما فى عبارة أبى هلال من جعل السجع والازدواج فى القرآن مثلا يحتذى ، وهيهات أن يصل كلام الخلق بما فيه من سجع وازدواج الى مرتقى كلام الحق من حيث تمكين المعنى ، وصفاء اللفظ ، وتضمن الطلاوة والماء .

وعلى هذه الوتيرة جرى ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) فقد احتج لحسن السجع بقوله : « فلو كان مذموما لما ورد فى القرآن الكريم ، فانه قد أتى منه بالكثير حتى انه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن، وسورة القمر وغيرهما ، وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور »[2] .

فهل نحن بحاجة الى دليل على نصاعة السجع وحلاوة ايقاعه أقوى من سريانه فى كل سورة من القرآن كما قرر ابن الأثير ؟ .

لقد أصبحت ظاهرة النثر المنغم نسقا قارا بين أنساق التعبير الأدبى ، وصارت موسيقاه سائغة مستعذبة ، وهيأ لها هذا القرار أولئك البصراء بمحاسن القول الخبراء بأصناف مذاقته وأفانين طعومه ، لكنهم شرطوا — لكى تقر قرارها — أن تكون فيضا لخاطر جياش ، ودفقا لشعور متوهج ، فاذا سكن الخاطر ، وخبا الشعور وتكلف المتكلم

---

(١) الصناعتين : الكتابة والشعر — ابو هلال العسكرى : ٢٥٠ ط صبيح بدون .

(٢) المثل السائر — ضياء الدين بن الأثير — تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد : ١٩٣/١ .

اجتلابها من غور بعيد صارت نشازا يأباه السمع ، ولا يطرب له الوجدان، وكانت حرية بالاقصاء عن ساحة القول البليغ •

ولقد تناول عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) ظاهرة السجع أو النثر المنغم يأتى متكلفا أو مطبوعا فى ثنايا حديثه عن قضية اللفظ والمعنى فبين أن الأول يأتى به ايثار الاستدعاء والصنعة ، والثانى يكون استجابة لنداء المعنى فيبدو الأول قلقا لا يسيغه الذوق ولا يميل اليه الطبع ويبدو الآخر أثيرا عند النفس ، أليفا للطبع ، وذلك حيث قال : « فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشىء عن جهته ، وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنة الاستكراه ••• ولهذه الحالة كان كلام المتقدمين الذين تركوا فضل العناية بالسجع ولزموا سجية الطبع أمكن فى العقول ، وأبعد من القلق ، وأوضح للمراد ، أفضل عند ذوى التحصيل ••• وأبعد من التعمل الذى هو ضرب من الخداع بالتزويق ••• فان أردت أن تعرف مثالا فيما ذكرت لك من أن العارفين بجواهر الكلام لا يعرجون على هذا الفن الا بعد الثقة بسلامة المعنى وصحته ، والا حيث يأمنون جناية منه عليه ••• فانظر فى خطب الجاحظ فى أوائل كتبه — هذا والخطب من شأنها أن يعتمد فيها الأوزان والأسجاع ، فانها تروى وتتناقل تناقل الاشعار — قال فى أول كتاب الحيوان : جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة سببا ، وبين الصدق نسبا ، وحبب اليك التثبت ، وزين فى عينك الانصاف ، وأذاقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك عز الحق ، وأودع صدرك برد اليقين ، وطرد عنك ذل اليأس ، وعرفك ما فى البـاطل من الزلة ، وما فى الجهل من القلة ، فقد ترك أولا أن يوفق بين الشبهة والحيرة فى الاعراب ، ولم يرد أن يقرن الخلاف الى الانصاف ويشفع الحق بالصدق ، ولم يعن بأن يطلب لليأس قرينة تصل جناحه ، وشيئا يكون رديفا له ، لأنه رأى التوفيق بين المعانى أحق ••• ورأى العناية بها حتى تكون اخوة من أب وأم ويذرها على ذلك تتفق بالوداد •• أولى من أن

يدعها لنضرة السجـــع ، وطلب الوزن أولاد علة عسى أن لا يوجد بينهـــا وفاق الا فى الظواهر ، فأما أن يتعدى ذلك الى الضمائر ويخلص الى العقائد والسرائر ففى الأقل النادر »[1] .

وليس يخفى أن عبارة عبد القاهر التى يكشف بها عن مسلك الجاحظ فى تلك الفقرة من كلامه المقتطفة من مقدمة كتابه الحيوان لا تجرى على نسق الكلام المرسل الذى يستهدف تقرير حقيقة بل يتراءى السجع فى ثناياها ويتسلل النغم الى النفس من أعطافها ، وفيها يســـمى السجع باسمه ، ويراه نسقا من القول البليغ شريطة أن يأتى متمكنا فى موضعه من التجربة الأدبية ، ويبين أنه لن يتيسر له ذلك حتى يكون المعنى هو الذى استدعاه والا كان ضربا من الصنعة لا شىء فيه من خصائص الجمال الا التزويق الخادع الذى يندر أن يكون وراءه شىء من المعنى .

واذ كان للسجع المطبوع هـــذه المنزلة لم يكن غريبـــا أن يقرر العلوى (ت ٧٤٩ هـ) أنه لهذا الاعتبار نسق من أنساق التعبير القرآنى بل هو النسق المعول عليه أكثر من سواه ، فقد قسمه الى ثلاثة أقسام : قصير ، وطويل ، ومتوسط ، وساق من القرآن أمثلة لكل منها توضحه ثم عقب قائلا : « فأما ما ورد من القرآن غير مسجوع فهو كثير ، لكنه بالاضافة الى ما هو مسجوع منه قليل »[2] .

واذا كان لنا من كلمة — بعد هذا كله — فهى أننا نميل الى ما يقوله البيانيون من كون السجع من ألوان الفن البلاغى يحمد مطبوعا ، وينكر

---

(١) أسرار البلاغة — عبد القاهر الجرجانى — تحقيق محمد عبد العزيز النجار : ١٨ — ٢٠ ط صبيح سنة ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م .

(٢) الطراز — يحيى بن حمزة العلوى : ٢٩/٣ تصـــوير دار الكتب العلمية ببيروت عن طبعة المقتطف .

متكلفا ، ونجارى أصحاب الرأى الآخر فى تسمية ما فى القرآن منه فواصل رعاية لمقام الأدب لا استجابة لمقتضيات الفن ، ثم نرد على السبكى تهوينه من شأن الخفاجى حيث بين سر تسمية ما فى القرآن من السجع فواصل ، وأنه استئناس بقوله تعالى : (كتاب فصلت آياته) ، وتشريف للقرآن أن يستعار لشىء فيه لفظ هو فى أصل وضعه للطائر ، وتشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث فى اسم السجع الذى يقع فى كلام آحاد الناس ، ولأن القرآن صفة الله تعالى ، ولا يجوز وصفه بصفة لم يرد الاذن بها .

ثم قال : « على أن الخفاجى قال فى سر الفصاحة لا مانع فى الشرع أن يسمى ما فى القرآن سجعا ، ونحن لا نوافقه على ذلك ، وليس الخفاجى ممن يرجع اليه فى الشرعيات » ثم تابع قائلا : « وحكى القاضى أبو بكر فى كتاب الانتصار خلافا فى تسمية الفواصل سجعا ، ورجح أنها تسمى بذلك »[1] .

وما بينه السبكى من أسرار ايثار مصطلح الفواصل يقع منا موقع القبول بيد أن ما ذكره عن الخفاجى لا نستريح اليه ، ففى المرجعية عنه فى الشرعيات دون القاضى الباقلانى مع ترجيحه للتسمية بالسجع تهوين لشأنه ، وذلك يدفعنا للتساؤل : ولم اختص ابن سنان بنفى المرجعية عنه دون صاحبه ؟ وكيف يرجح الباقلانى غير مستند الى الشرع ؟

* * *

ثانيا : قيمته الفنية :

تتمثل قيمته الفنية فى ناحيتين : موسيقاه وأهميتها ، دقة الدلالة على المعنى ، وسنتناول هاتين الناحيتين فيما يلى :

---

(١) عروس الأفراح — بهاء الدين السبكى — ضمن شروح التلخيص : ٤٥٢/٤ ط عيسى الحلبى سنة ١٩٣٧ .

ـ أولا : موسيقاه وأهميتها :

ليس يخفى أن فى السجع لونا من النغـــم ينبعث من التوافق بين الفاصلتين ليضيف الى جرس الكلمات ، وهمس التراكيب المتآلفة لحنا شاجيا يستهوى النفوس ، ويعبث بالأفئدة فتجد من اللذة ، وتستشعر من الطرب ما يجعـــل المتلقى يسبح بخيـــاله مع النغم يستطلع ملامح الجمال الزاهى فى أفق الكلام البليـــغ ، حيث تنبعث النشـــوة من ايقاع الكلمات ، وموسيقى التراكيب ، وتطريب التوافق بين العبارة وقرينتها فى الحرف الذى تختم به •

وانما تفصل العبارة وفى ثناياها ذلك اللحن المترقرق ، لأن السجع فيض فطرى تجيش به الصدور وتفور به الخواطر ، وفى حالل التسامى يسيل على الألسنة كلاما له حظ من الامتياز والأناقة حاملا لضروب من نفحات الالهام • وهو فى أصله من خصائص الانسان الذى يغمر شعوره فكره ، ويربى خياله على عقله ـ فالكلام الموسيقى المتوازن على اختلاف ألوانه هتاف النفس حين تضطرم بنوازع النشـــوة والألم ، والسرور والحزن ، والرضا والغضب ، والبسط والقبض تبعثه فى يسر متداركا كأنما تجد فى تناغم ألفاظه ، ورنين أجراسه ، وتعاطف حروفه متنفسا لهذا الجيشان العنيف[1] •

ولأن السجع من مظاهر التأنق فى الأســـلوب ، وأصل فى طباع الناس ، وسر فى كيان اللغة فقد انتشرت الفواصـــل فى القرآن الكريم لتخاطب وجدان البشر حتى انها ـ أحيانا ـ لتبدأ مع ابتداء السورة ، وتنتهى بنهايتها ، وهى فى انتشارها تنساب رقيقة حينا ، وتندفع شديدة حينا آخـــر حسبما يتطلب سياقها من رقة أو شـــدة • : « وما هذه

---

(١) ينظر : فن الأسجاع ـ د. على الجندى : ١/٩ وما بعدها .

الفواصل .. الا صورة تامة للأبعاد التى تنتهى بها جمل الموسيقى ، وهى متفقة مع آياتها فى قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت ، والوجه الذى يساق عليه بما ليس وراءه فى العجب مذهب »[1] .

وقد تداخلها لازمة تتكرر بين غرض وآخر لتضاعف من نغمها ، وتفيض عليها من التلاؤم ما يهيىء النفس للتفاعل معها كما نجده فى ثلاث سور هى : القمر ، والرحمن ، والمرسلات .

— ففى سورة الرحمن :

نرى اللازمة ماثلة فى قوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) تذكر عقب كل نعمة تفهم من ظاهر اللفظ ، أو تلمح من لازم معناه[2] ، وقد بنيت على نسق الفواصل قبلها ، وبعدها من نون مسبوقة بألف ممدودة وما جاء منها على غير ذلك قليل[3] ، وقد أضفت بهذا البناء نغما هادئا ممتدا تسكن اليه النفس ، ويستريح اليه الفؤاد ، وكأنما هى لفت هادىء محبب الى ما تقتضيه النعمة من الاقبال على المنعم بها .

---

(١) اعجاز القرآن — عبد الكريم الخطيب : ٣٩٦ — ط دار الفكر العربى — الأولى سنة ١٩٧٤ .

(٢) تأويل مشكل القرآن — أبو عبد الله مسلم بن قتيبة — تحقيق السيد صقر : ٢٣٩ ط دار التراث — القاهرة — ثانية سنة ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م ، وبيان اعجاز القرآن — الخطابى — ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن — تحقيق د.محمد خلف الله ، د.محمد زغلول سلام — ط دار المعارف — ثالثة .

(٣) النكت فى اعجاز القرآن — الرمانى — ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن : ٩٨ . وننبه هنا الى أن ذلك ينحصر فى خمس آيات ختمت بالميم المسبوقة بألف ، وهى : ١٠ — ١١ — ٢٤ — ٢٧ — الخ ، وآيتين بالراء وهما : ١٤ — ١٥ ، كما ننبه الى قرب الميم من النون .

وأدعوك — قارئى بما أوتيت من حس رهيف — أن تردد اللازمة لترى أثرها فى نفسك فانك : « ان كنت موسيقيا فليس لى معك حديث فى هذا الأمر فأنت خبير به ... وما عليك الا أن تدندن بالآية الكريمة ، وتحرك لسانك بحروفها — كما تحرك أصابعك على أوتار العود ، وسينتهى بك ذلك الى أن تجد نفسك فى نشوة نغم علوى سماوى لم يقع فى أذنك من قبل ، وان لم تكن .. فرتل الآية الكريمة ترتيلا قرآنيا مرة .. واملأ فمك بكلماتها ، وافتح أذنيك لرنينها وسترى أنك تنطق بلحن موسيقى يفيض رحمة .. وينبض جلالا وقوة يهتف بالنفس البشرية أن ترجع الى ربها ، وبالقلوب الضالة أن تفر الى خالقها »[1] .

أدعوك لنقرأ معى الآيات التالية من سورة الرحمن ونلحظ فاصلتها : وهذه هى الآيات : « الرحمن — علم القرآن — خلق الانسان — علمه البيان — الشمس والقمر بحسبان — والنجم والشجر يسجدان — والسماء رفعها ووضع الميزان — أن لا تطغوا فى الميزان — وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان — والأرض وضعها للأنام — فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام — والحب ذو العصف والريحان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فاذا لحظت الفواصل وجدتها مبنية على نسق واحد من تماثل الحروف ، وتشاركها فى ذلك اللازمة « وهذا من شأنه أن يقيم الأذن على على هذا النغم ، ويربطها به فاذا تكررت (اللازمة) بعد ذلك لم تجد الطريق مسدودا عليها بل ان الأذن تنفتح لها ، وتدعوها اليها وتجذبها نحوها »[2] .

واذا أحسنت استقبال ما ينشال على الأذن فستجد نفسك تزداد

---

(١) اعجاز القرآن — عبد الكريم الخطيب ٣٩٦ .

(٢) اعجاز القرآن : ٤٠٠ .

أنقا اذ يزداد النغم باللازمة ألقا ، وعنـــدئذ سيحلق بك الفكر والخيال فى هذا الكون الفسيح •

نتأمل مظاهر القـــدرة : البشرية وملكاتها ، والسماء وأفلاكها ، والأرض وأرجاءها والنبـــاتات وألوانها ، والميـــزان الذى يحفظ لهذه الكائنات حيوتها ، وتستبد بك طلاوة الموسيقى ، ولذاذة النغم فترتقى مراقى من الصفاء النفسى ، والنقاء ، الفكرى تريك جلال الحق ، وعجز الخلق ، وعدل الجزء ، وفيض العطاء فلا تجدك الا وأنت — بغير وعى ، أو بكل خشوع — تردد (تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام) •

— وفى سورة القمر :

نرى اللازمة ماثلة فى قوله تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ؟ •

وقد ذكرت اثر كل قصـــة ، وقد تسبق باستفهام يلمح الى التهويل هـــو قوله تعـــالى : (فكيف كان عذابى ونذر) ؟ وذلك تكثيف لنغم الفواصل •

ولنعيش فى جو هذه الموسيقى فلنردد من السورة هذه الآيات :

(كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر — فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر — ففتحنـــا أبواب السماء بماء منهمر — وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر — وحملناه على ذات ألواح ودسر — تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر — ولقد تركناها آية فهل من مدكر — فكيف كان عذابى ونذر [ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر] كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر — انا أرسلنا عليهـــم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر — تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر — فكيف كان عذابى ونذر [ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر]) •

ولا ريب أن من رددها معنا أدرك أن موسيقى هذه السورة صاخبة هادرة ، وقد وفر لها هذا النوع من الايقاع بناء فواصلها ولازمتها على حرف الراء بما يشيعه من الذبذبة التى تحدث بالوقوف عنده ، وتؤازره فى ذلك الحركتان المتواليتان — أو ما زاد عليهما — قبله ، وهى بهذا النسق تثير النفس ، وتروع القلب ، وتستفز المشاعر ، اذ يسبح المرء فى جوها على جناح الخيال ، ويغوص فى أعماق التاريخ فيرى مصارع المعاندين ماثلة أمامه مشهدا بعد آخر ، وفى ذروة الانفعال بالمشهد الماثل تعزف اللازمة لحنا لافتا الى ما تضمنته من نداء مهيب موجه الى من له ذرو من العقل عساه أن يراجع نفسه قبل أن يحل به من أنواع النقم ما يزج به فى حظيرة الهلاك فيكون خلفا لسلف أو لأسلاف .

وفوق هذا فان تكرر اللازمة على هذا النسق : « جعل النغم الموسيقى ممسكا بها جميعا فى لحن واحد متساوق الايقاع يجرى قويا متدفقا كتدفق السيل حتى يقع على القرار فيستقر عنده ، ويسكن اليه »[1] .

وحين تقترب السورة من ختامها تختفى اللازمة فتخف حدة الموسيقى ، ولكها تبقى على هديرها لينم عن مخوف الوعيد ، وكريم الوعد فيبث فى النفوس رهبا ورغبا .

— فى سورة المرسلات :

نرى عدة مقاطع لكل منها نغم خاص ، وقد تتعدد فى بعضها الايقاعات ، وذلك محصور فى المقطعين : الأول ، والخامس .

ففى الأول : نجد الفواصل مبنية على الفاء المفتوحة متلوة بألف

---

(١) اعجاز القرآن — عبد الكريم الخطيب : ٤٠٤ .

الاطلاق ، وعلى الراء على هذا النسق ، وعلى التاء الساكنة — بالوقف عندها — المفتوح ما قبلها ، أو اللام الساكنة — بالوقف — مع سكون ما قبلها •

وفى الخامس نرى الفواصل مبنية على الباء الساكنة بالوقف مع فتح ما قبلها ، والراء الساكنة بالوقف مع سكون ما قبلها •

وفى الفواصل الساكنة مع سكون ما قبلها أو فتحه غير مسبوق بمد نرى نغما قصيرا أشبه بالنقر فى ثنايا اللحن الممتد ، ولكنه يشتد فى آونة ويلين فى أخرى فتثير موسيقى المقطع بلحنها الممتد المصحوب بالنقر مشاعر النفوس على نحو يلفتها الى ما وراءها من مغزى •

أما بقية المقاطع فقد اتحدت فواصلها غير أن الرابع مبنية فواصله على التاء المفتوحة المسبوقة بألف ساكنة المتبوعة بألف الاطلاق وما عداه ففواصله مبنية على النون الساكنة بالوقف المسبوقة بحرف المد (الياء ، أو الواو) • وفى هذه المقاطع تبدو الموسيقى ممتدة النغم باطراد •

وفى ثنا المقاطع تأتى اللازمة لتمثل الاطار العام وكأنها فى نهاية كل مقطع مرتقى هو بمثابة الغاية التى يتوقف عندها امتداد النغم ليبدأ بعدها نغم جديد •

ونعرض هنا بعض المقاطع نرجو القارىء أن يرددها معنا ليشاركنا فيما نستشعره من حلاوة ما فيها من نغم :

(ا) (والمرسلات عرفا — فالعاصفات عصفا •

والناشرات نشرا — فالفارقات فرقا — فالملقيات ذكرا — عذرا أو نذرا — انما توعدون لواقع •

فاذا النجوم طمست — واذا السماء فرجت — واذا الجبال نسفت — واذا الرسل أقتت — لأى يوم أجلت •

ليوم الفصل — وما أدراك ما يوم الفصل •

(ويل يومئذ للمكذبين)

(ب) ألم نهلك الأولين — ثم نتبعهم الآخرين — كذلك نفعل بالمجرمين •

(ويل يومئذ للمكذبين)

(حـ) ألم نخلقكم من ماء مهين — فجعلناه فى قرار مكين — الى أجل معلوم فقدرنا فنعم القادرون •

(ويل يومئذ للمكذبين)

(د) ألم نجعل الأرض كفاتا — أحياء وأمواتا — وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتا •

(ويل يومئذ للمكذبين)

ولعلنا ندرك اذا أنعمنا النظر فى اللازمة أنها — مع تحقيقها للاطار العام لموسيقى السورة — تطلعنا على ما فى كنفها من معنى يختلف عما قبله فى جوهره ، ولكنه يتصل به لكونه دليلا عليه ، أو مؤديا اليه • فكأنها فاصلة وواصلة فى آن معا •

ونلحظ أن هذه السورة تحتوى على عشرة مقاطع :

يقوم الأول منها على فكرة البعث والجزاء مؤكدا حدوثهما حين يأتى الموعد المضروب لهما فى علم الله تعالى ، ويبين معالمه المشهودة الماثلة فى محق النجوم ، وانشقاق السماء ، عندئذ تقوم الساعة ويجمع الرسل للفصل فى الحساب بين المحق والمبطل •

وتقوم الثلاثة التالية — وهى بمثابة الدليل على ما سبق — بعرض مظاهر قدرة الله ، فيتحدث الأول عن اهلاك السابقين ومن يجرى على نهجهم من الآخرين ، ويتحدث الثانى عن مصدر خلق المخاطبين — ومن على شاكلتهم فى الخلق — ومستقره الى لحظة الميلاد ، والثالث عن خلق الأرض متنوعة المظهر ما بين جبال ووهاد ، وقفار وغمار •

ثم تتلوها مقاطع ستة تنقل المخاطبين — فى كل جيل — الى مشاهد ما بعد البعث ، اذ يدعى المعاندون الى الانطلاق فى هوان الى ما كذبوا به ، ويشاهدون فى الثانى فى موقف الذل حيث لا نطق ولا اعتذار ، ويخاطبون فى الثالث خطاب تهكم يدعوهم أن يحتالوا ما وسعتهم الحيلة للتخلص مما هم فيه ، وفى الرابع صورة لنعيم المؤمنين ، وفى الخامس دعوة للمخاطبين المعاندين الى التمتع ما استطاعوا فانه فى عين الحقيقة قليل ، وفى السادس تصريح بما تلمح اليه المقاطع السابقة من الاعراض عند الدعوة الى الطاعة ، ثم تختم السورة بهذا السؤال الذى يدل على افتقاد الفكر الصحيح (فبأى حديث بعده يؤمنون) ؟ •

وهكذا تضع اللازمة لحنا عاما تتحرك فى اطاره نغمات المقاطع لتتآزر والاطار العام لتحدث نشوة عارمة يحلق معها المتذوقون فى أفق صاف لا يتاح مثله فى كلام البشر كما أنها تقيم علائق واشجة بين مختلف المعانى المتواصلة على نحو « ما » من الفواصل •

هذا ، وأجدنى فى ظلال هذه النشوة من موسيقى السور الثلاث لا أستبعد أن يكون هذا النمط المقطعى فيها — وقد سورته اللازمة الموافقة أو المخالفة لنمط الفواصل فى السورة — هو الذى ألهم الشعراء أن يتصرفوا فى معزوفاتهم الشعرية تصرفا أدى بهم الى ابداع ما عرف باسم الموشحات •

وأيا ما كان فإن الأمر بناء العبارة موقعة الفواصـــل يضفى عليها سحرا يلعب بالوجدان ، ولمثل هذه الغاية جرى التعبير القرآنى على هذه الوتيرة فى فواصـــله ليؤازر نغمها نظيره المنبعث من ترتيب الحروف باعتبار أصواتها ، ومخارجها ومناسبة بعض ذلك لبعض مناسبة طبيعية فى الهمس والجهر، والرخاوة والشدة وما الى ذلك من صفات الحروف[١]، وينشأ من هذا التناسق وجه من الاعجاز •• يشد اليه المتلقى ، فتلك — كما يقول الرافعى : « طريقة الاستهواء الصوتى فى اللغة ، وأثرها طبيعى فى كل نفس ، فهى تشبه فى القرآن الكريم أن تكون صوت اعجازه الذى يخاطب به كل نفس تفهمه ، وكل نفس لا تفهمه ، ثم لا يجد من النفوس — على أى حال — الا الاقرار والاستجابة ، ولو نزل القرآن بغيرها لكان ضربا من الكلام البليغ الذى يطمع فيه أو أكثره ، ولكنه انفرد بهذا الوجه المعجز فتألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره، أو أقحم معه حرف آخر لكان ذلك خللا بينا ، أو ضعفا ظاهرا فى نسق الوزن ، وجرس النغمة ، وفى حسن السمع ، وذوق اللسان ، وفى انسجام العبارة ، وبراعة المخرج ، وتساند الحروف ، وافضاء بعضها الى بعض، ولرأيت لذلك هجنة فى السمع كالذى تنكره من كل مرئى لم تقع أجزاؤه على ترتيبها »[٢] •

تلك شذرة من موسيقى النثر اعتمدنا فى بيانها على القرآن الكريم باعتباره أعلى درجات الكلام البليغ ألمعنا بها الى أثر هذه الموسيقى فيما سواه ، فانه اذا كان النغم فى القرآن يضفى لونا من الاعجاز[٣] ،

---

(١) ينظر : اعجاز القرآن — الرافعى : ٢١٥ .

(٢) اعجاز القرآن — الرافعى : ٢١٧ .

(٣) ينظر : مباحث فى علوم القرآن — د.صبحى الصالح : ٣٢٤ — ٣٤٠ — دار العلم للملايين — بيروت — ط ١٥ سنة ١٩٨٣ .

فان أثره فى كلام البشر مستعذب ، ولا يمارى فى هذه الحقيقة الا من كان المراء من سجاياه •

وانه ليروقنا أن نورد قول الصالح فى ثنايا حديثه عن الاعجاز فى نغم القرآن : « فكيف بنا لو تصورنا جماعة من الصديقين الصالحين •• يشتركون •• بأصوات رخية متناسقة تصعد معا وتهبط معا وهى تجأر الى الله ، وتنشد هذا النشيد الفخم الجليل : (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار — ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار •• الخ) •• ان فى الوقوف بالسكون على الراء المذلقة المسبوقة بهذه الألف اللينة لما يعين على الترخيم والترنيم ، ويعوض فى الأسماع أحلى ضربات الوتر على أعذب العيدان »[1] •

وأحسب أن القول بحلاوة النغم فى موسيقى النثر بعد هذا لا يأتى بجديد •

ثانيا — دقة الدلالة على المعنى :

هل للسجع أثر على المعنى ؟

سؤال قد يطرحه من أخذت بنفسه موسيقى السجع فلم ينطلق الى ما وراءها •

لكنا نرى أن الوقوف عند استحواذ ايقاعه على المشاعر ، واستيلائه على الوجدان قصور عن ادراك حقيقة مداه •

فقد ترى السجع ينهض من المعنى بما تنوء به العبارة المرسلة ، وذلك عندما يأتى طبيعيا غير متكلف ، وهذا شرط حسنه أو قبوله كما قرر ذلك البيانيون ، ومتذوقو حلو الكلام ومن خير من حدثنا بذلك عبد القاهر

---

(١) مباحث فى علوم القرآن د.صبحى الصالح : ٣٣٨ .

حين بين أن حسن السجع رهينة انقياده للمعنى وتطلبه اياه حيث قال : « وعلى الجملة فانك لا تجد ... سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه ، وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبتغى به بدلا ، ولا تجد عنه حولا »[١] .

ثم مضى يسوق أمثلة منها قول قيس بن سعد الخزرجى : اللهم هب لى حمدا ، وهب لى مجدا ، فلا مجد الا بفعال ، ولا فعال الا بمال.وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تزال أمتى بخير مالم تر الفىء مغنما ، والصدقة مغرما » وانثنى يعلق عليها بقوله : « فأنت لا تجد فى جميع ما ذكرت لفظا اجتلب من أجل السجع ، وترك له ما هو أحق بالمعنى منه ، وأبر به وأهدى الى مذهبه ، ولذلك أنكر الأعرابى — حين شكا الى عامل الماء بقوله : حلأت ركابى ، وشققت ثيابى ، وضربت صحابى فقال له العامل وتسجع أيضا — انكار العامل السجع حتى قال : فكيف أقول ؟ وذاك أنه لم يعلم أصلح لما أراد من هذه الألفاظ ، ولم يره بالسجع مخلا بمعنى ، أو محدثا فى الكلام استكراها .. وقال الجاحظ ، لأنه لو قال حلأت ابلى أو جمالى ، أو بعرانى ، أو صرمتى لكان لم يعبر عن خفى معناه ، وانما حلئت ركابه فكيف يدع الركاب الى غير الركاب ، وكذلك وشققت ثيابى ، وضربت صحابى »[٢] .

وليس يخفى أن عبد القاهر — مؤيدا رؤيته بالجاحظ — يرى أن السجع له أثر فى المعنى ، بل يمضى الى ما هو أبعد من ذلك فيذكر أن المعنى قد لا ينهض به القول المرسل ، واستشهد لذلك بما نقله عن الجاحظ من أن الخروج عن السجع يوضع لفظ مكان آخر فيما نطق به

---

(١) أسرار البلاغة — عبد القاهر الجرجانى — تعليق محمد عبد العزيز النجار : ٢٠ ط صبيح سنة ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م .

(٢) نفسه : ٢١ .

الأعرابى على سجيته لا يقوم بتأدية مراده ، ومن ثم أنكر فى حنق على العامل انكاره لما أفصح عن دخيلة نفسه فى عبارة موقعة •

ولا ريب أن عبد القاهر والجاحظ من قبله كانا على شاكلة الصواب ، اذ ادركا بما لهما من حس صاف ، وذوق مدرب تلك العلاقة الواشجة بين السجع المطبوع ، والمعنى المقصود ، فان النوق أو الابل قد لا تصلح للركوب ، والأعرابى يخشى على ركائبه أن يذهب بها الظمأ فلا يجد ما يدفع عنه عناء الانتقال من مكان الى آخر ، وهو متألم من تمزيق ثيابه ، اذ لا بديل عنها ، ولفظ اللباس لا يحقق هذا المعنى ، فهو من لبس الثوب اذا تمتع به زمانا[1] ، ومن ثم فهو لا يؤدى مراد الأعرابى ، اذ المتعة بالثوب زمانا تعنى أن هناك بديلا ولا بديل عنده ، وأما لفظ الصحاب فلا يقوم بمؤداه لفظ الرفاق ، أو الأصدقاء ، لأنه من الصحبة، وهى تومىء الى العشرة ، والألفة • أما المرافقة والصداقة فلا ايماء فيهما الى ذلك[2] • ولهذا لم يكن للأعرابى بد من أن يضيق من سخرية العامل من استعماله السجع ، وحق له ، فماذا يقول غير ما قاله وهو المعبر عن حق معناه ؟ •

ومن روائع ما نهض فيه السجع بتأدية معنى لا تتسامى اليه العبارة المرسلة قوله تعالى : (والضحى — والليل اذا سجا — ما ودعك ربك وما قلى) ، فان لفظ (سجا) — مع ابتناء الفاصلة عليه ، واقامته لتوازنها ، وبعثه للنغم فيها — قد أفاد معنى لا يفى به ما يرادفه من الأفعال مثل : أظلم ، أو سكن ، أو غطى ، ذلك أنه أدى معانى هذه

---

(١) ينظر : القاموس : باب السين فصل اللام ، وباب الباء فصل الصاد .

(٢) وينظر ص ٤ من هذا البحث .

الأفعال جميعا ، وزاد عنها افادة الدوام ، والامتداد والشدة[١] ، وكذلك الفعل (قلى) أوثر فيه حذف المفعول المقدر بضمير الخطاب للمفرد ، ومجيئه على هذه الصورة هيأ للفاصلة توازنها ، وثراء الايقاع فيها ، وأوما الى تكريم المخاطب ، اذ نزه سمعه عن أن يكون أداة تحمل أو تنقل صورة الخطاب الموحش لنفسه ، وانه لتكريم عز مثاله أن نرى الله عز شأنه وقد : « تحاشى خطابه تعالى رسوله المصطفى فى موقف الايناس يصرح القول : (وما قلاك) : لما فى القلى من حس الطرد والابعـــاد ، وشدة البغض » ، ولم يسلك مثل هذا المسلك فى الفعل « ودع » لعدم سبق المرجع من ناحية ، ومن ناحية أخرى — على تقدير فهم المراد وأن الكلام له عليه السلام — فان التوديع لا شىء فيه من تلك المعانى : « بل لعل الحس اللغوى فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع الا بين الأحباب • كما لا يكون توديع الا مع رجاء العودة وأمل اللقاء »[٢] •

وانه ليروقنا أن نسوق هنا مما نهض فيه السجع • بمعنى تقصر عنه العبارة المرسلة قوله تعالى : (سبح اسم ربك الأعلى — الذى خلق فسوى — والذى قدر فهدى) خلعله مما لا يخفى أن كلمة « الأعلى » مبنية على صورة اسم التفضيل ، لكنها هنا لا تؤدى معنى المفاضلة بين عال وأعلى ، فهذه الصيغة انما تكون للمفاضلة اذا ذكر المفضـــل عليه بعدها مجرورا بحرف مثل : هو أعلى منه ، أو أضيف اليها مثل : خديجة أقرب أمهات المؤمنين الى قلب الرسول ، أو وقع تمييزا مثل : أكبر شهاة • كما أنها فى هذا المقام لا تؤول بمجرد الوصف على نحو قول الفرزدق •

---

(١) ينظر : القاموس باب الواو والبـــاء فصل السين ، ففيه : سجا سجوا : سكن ، ودام ومنـــه البحر والطرف الســـاجي ، والناقة : مدت حنينها ، وأسجت : غزر لبنها .

(٢) الاعجاز البيانى للقرآن — د. عائشة عبد الرحمن : ٢٦٩ — ط دار المعارف — ثانية .

ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

فان اقترانها بالألف واللام يقف حائلا دون التأويل ، خاصة اذا تنبهنا الى مجيئها وصفا للرب عز شأنه أو لاسمه ، ومن ثم فان الفكر لا يلبث حتى يستشف منها معنى العلو فى أقصى غاياته ، واذا استقام لنا هذا الملحظ — ونرى أنه مستقيم — كان لنا أن نذهب الى اطراده فيما جاء فى هذه السورة على هذا النمط فى الصياغة من كلمات : اليسرى، الأشقى ، الكبرى — الدنيا فهى تذهب باليسر ، والشقاء والكبر ، والدنو الى أقوى ما يتصور من معانيها ، وعليه فصياغة الوصف على صورة اسم التفضيل ليست لمجرد الايقاع وتحصيل النغم ، ولكنها الى جانب ذلك أو قبله للايماء الى أن « القصد الى المضى بالعلو الى نهايته القصوى بغير حدود ولا قيود وهو نفس الملحظ الدلالى لصيغ : الحسنى ، واليسرى ، والعسرى ، والأشقى ، والأتقى فى سورة الليل ، (فهى) دالة على غاية الحسن واليسر ، والتقوى ، وأقصى العسر والشقاء »[1] وتأدية هذا الملحظ لا تتيسر بالقول المرسل غير الموقع •

ولعله لا يخفى أيضا أن الأفعال « خلق ، وسوى ، وقدر ، وهدى » حذفت مفاعيلها واذا كان الحذف يضفى على الفاصلة لحنا فانه يحقق أيضا معنى العموم[2] ، وقد يتحقق هذا المعنى بسوق العبارة خالية من الايقاع بذكر المفعول لكل منها ، ولكن ستكون مترهلة مثقلة لا تقبل عليها النفس ، ولا تبعث على التأمل •

ومما نهض فيه توازن المقاطع بتأدية المعنى على نحو يستعصى

---

(١) الاعجاز البيانى : ٢٧٢ .

(٢) ينظر : الفتوحات الالهية : سليمان بن عمر العجيل (الجمل) ٤/٥٢٠ — ط دار الفكر — بيروت .

على الكلام بغير توازن قوله تعـالى : (ألهاكم التكاثر — حتى زرتم المقابر) فوراء روعة الايقاع ، وتلاؤم النغم سريرة تتأبى على غير هذا النسق ، « فالمقابر جمع مقبرة — وهى مجتمع القبور — واستعمالها هنا هو الملائم معنويا لهذا التكاثر ، ودلالة على مصير ما يتكالب عليه المتكاثرون فى حطام الدنيا ... حيث هناك مجتمع الموتى ، ومحتشد الرمم على مختلف الأعمار ، والأجيال والطبقات ، وهذه الدلالة من السعة والشمول بحيث لا يمكن أن يقوم بها لفظ القبور جمع قبر . فبقدر ما بين قبر ، ومقبرة من تفاوت يتجلى البيان القرآنى فى ايثار المقابر على القبور حين يتحدث عن غاية ما يتكاثر فيه المتكاثرون على مر العصور والأجيال »[1] .

تلك نماذج من القول البليغ نهض فيها الايقاع بالمعنى على نحو لا يتيسر للكلام المرسل سواء أكان ذلك من قبيل الامتناع أو بعد المرتقى، ولقد عمدنا فى سوقها الى ايراد ما ألفينا من رؤى المبرزين فى ذوق الأساليب لتكون ظهيرا لما ارتأينا ولندفع بها عنا خاطرا يصمنا بالتكلف ، أو يرمى وجهتنا بالتعسف ، وكفى بالجاحظ وعبد القاهر سندا ومعتمدا .

ومن هنا يسوغ لنا أن نتساءل : هل كان النغم عونا على استلهام المعنى كما عرف الرمزيون ؟

والذى يبدو لى أن الاجابة بالاثبات ليست ابعادا فى النجعة ، واذا صادف ما يبدو لنا قبولا من ذوى البصر بالرمزية كمذهب ساغ لنا أن نقول : كم يكون البون شاسعا بين قوم أدركوا هذا الومض وأودعوه فى رصيدهم الضخم من جيد قولهم الفطرى ، وتراءى لهم فى ناصع

---

(١) الاعجاز البيانى : ٢٧٥ .

ما أفرغ من معجزة الدهر فى أنساق لغتهم ، وبين قوم لم يهتدوا اليه الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر للميلاد[١] ؟ .

ولما كان الملحظ المعنوى باعثا له خطره فى صياغة الكلام الموقع ، فان باحثة الاعجاز البيانى قد رمت الى ابرازه حتى لا يظن أن الايقاع هو الباعث الفرد على هذه الصياغة فقالت فى الطبعة الأولى من كتابها « الاعجاز البيانى للقرآن » — كاشفة عن المقتضى المعنوى للحذف فى قوله تعالى : (ما ودعك ربك وما قلى) — : « أما تعليل الحذف برعاية الفاصلة فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآنى على اعتبار لفظى ، وانما الحذف لمقتضى معنوى بلاغى يقوى به الأداء اللفظى دون أن يكون الزخرف الشكلى هو الأصل .

ولو كان البيان القرآنى يتعلق بمثل هذا لما عدل عن رعاية الفاصلة فى آخر سورة الضحى (فأما اليتيم فلا تقهر) ... (وأما بنعمة ربك فحدث) » .

لكن باحثا مشهودا له لم ير فى هذا القول الا أنه اعتراض جاء على نسق ما ذكره مرويا عن الدارسين السابقين « من رفضهم أن يكون الحذف لرعاية الفاصلة ، لأنها : « علة لفظية لا ينبغى أن تكون مقصدا فى الأسلوب القرآنى الذى بنى على رعاية المعانى لا الألفاظ »[٢] والا أن « فيه غفلة عن رهافة السياق »[٣] ومضى يبين أن الأسلوب القرآنى قد

---

(١) ينظر : الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر — د.محمد فتوح احمد : ٧٠ ، ١٣٠ ط دار المعارف — ثانية سنة ١٩٧٨ ، فى الأدب والنقد — د.محمد مندور : ١٣٧ — ط دار نهضة مصر بدون .

(٢) خصائص التراكيب : د.محمد ابو موسى : ٢٨٧ ط مكتبة وهبة — ثانية سنة ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م .

(٣) نفسه : ٢٨٩ .

يستدعى التنغيم الصوتى ، وقد يتركه حسبما يتطلبه السياق فقال : « اننا حين نقول : ان القرآن يحرص على توافق التنغيم الصوتى لا ندعى أن ذلك — دائما — وانما يحدث عندما يقتضيه السياق ، ولذلك نراه واقعا فى الآيات التى تصف أحداثا أو شعورا أو أفكارا من نوع متوهج ، ومن هنا يجىء قوله : (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) أسلوبا رزينا هادئا هدوء الحق الراشد الى الطريق المستقيم أما قوله : (وتظنون بالله الظنونا) — فى موقف عنيف كله حركة واضطراب ... وكأن الموقف يكاد ينفجر لولا هذا ... الامتداد فى تلك الألف التى أفرغت من توتر الآيات قدرا استوى به نسق الأسلوب »[1] .

ولا شك عندى أن :

ما قاله فى هذا الاستدعاء جيد بالغ الجودة ، لكنه لا يتوجه به على الباحثة مأخذ ، ذلك أنها لم تنف أن يكون للتنغيم أثره فى العبارة القرآنية، لكنها رفضت أن يكون هذا الأثر هو الأصل — كما هو نص عبارتها — ورفض كونه أصلا لا يمنع من وجوده الى جانب المقتضى المعنوى — كما ان هذا المقتضى يقوى الآداء اللفظى — كما هو نص عبارتها أيضا .

أما السابقون الذين روى عنهم الاعتراض على كون الحذف لرعاية الفاصلة فقد عللوا اعتراضهم بأن تلك الرعاية علة لفظية والقرآن بنى أسلوبه على رعاية المعانى لا الألفاظ . وفى هذا رفض صريح لأن يكون للأداء اللفظى أثر فى العبارة القرآنية ومن ثم لا ينبغى — حسب قولهم — أن تكون الفاصلة مقصدا فى الأسلوب القرآنى . وشتان ما بين الرؤيتين.

فكيف يقال : ان ما قالته الباحثة اعتراض جاء على نسقهم ؟

ان ذلك لن يكون الا اذا وقفنا عند قولها : « فليس من المقبول عندنا

---

(١) نفسه : ٢٨٩ .

أن يقوم البيان القرآنى على اعتبـــار لفظى ، ولم ننظر الى قولها : « وانما الحذف لمقتضى بلاغى يقوى به الأداء اللفظى دون أن يكون الزخرف الشكلى هو الأصل » •

ومثل هذا الوقوف يقدح فى سلامة الرؤية ، اذ كيف نغض النظر عن الأداء اللفظى الذى يشد من أزره المقتضى البـــلاغى ؟ • واذا لم يكن الأداء اللفظى هو الرعاية للفاصلة فماذا يكون ؟

ثم •• أليس فى عبارتها زخرف شكلى وأصل ؟

ان الأصل ــ كما نفهمه من عبارتها ــ هو المقتضى البلاغى ينبض بالمعنى ، وهى حريصة على أن نراه أصلا فى الصياغة القرآنية ، وعلى أن لا تعشى عيوننـــا ببريق الزخرف الشكلى فلا تنفـــذ الى ما وراءه فيحول ــ فى الظاهر ــ عن طبيعته فنراه أصلا ، ومؤدى هذا : أنه يجب أن يبقى الأصل أصلا ، والفرع فرعا وأن لا يحول أحدهما عن طبيعته ، وليس مؤداه أن نصرف النظر عن الفرع فى سبيل الأصل •

واذا استقام لنا فهم ما قالته على هذا النحو لم يكن فيما استدلت به من العدول عن رعاية الفاصلة فى آخر سورة الضحى غفلة منها عن رهافة السياق كما رأى العلامة الفاضل ، ذلك أن الذى يفهم منه هو أن المعنى اذا افتقد لم يكن الى السجع حاجة ضرورة أنه لا يخلو قول من معنى الا أن يكون القائل مغيب الوعى •

ومن ثم يصبح ما قاله العلامة الثبت فى بيان الأمر الذى اقتضى مخالفة آخر سورة الضحى لنسق الفواصل ــ وهو ــ كما قال ــ يمثل حساسية معنوية بالغة الدقة واللطف ، ونصه : « أن حديثه بنعمة ربه ينبغى أن يكون خافتا فى نبرته ، وفى الفرط بعد الفرط حتى لا يذهب به هذا الحديث مذاهب الغرور أو الرياء ، ورسول الله ــ وان كان معصوما

من هذا — فان أمته من ورائه فى كل خطاب الا ما كان مختصا به ، وهذا ليس واحدا منها »[١] • أقول : ومن ثم يصبح قوله هذا ايضاحا لما رمت اليه لا بيانا لما غفلت عنه من رهافة السياق •

ولنا أن نقول بعد الذى رأينا : ان ما رفضته الباحثة من كون التوازن هو الأصل ، وما رمت الى تقريره من كون المقتضى المعنوى تكأة للتوازن اللفظى ليس بالجديد فى الحقل البلاغى ، فقد سبق أن قرره الامام عبد القاهر حينما قال : « وعلى الجملة فانك لا تجد ••• سجعا مقبولا حتى يكون المعنى هو الذى طلبه ، واستدعاه ، وساق نحوه » ونذكر بأنه سبق لنا ايراده •

ويبدو أن الباحثة قد أدركت أن تشديدها على المقتضى المعنوى قد يحجب أو قد حجب بالفعل وفى الواقع مرادها عن بعض النظار فعدلت من عبارتها فى الطبعة الثانية لكتابها فحذفت منها ، وغيرت بعض ألفاظ مالم تحذف حيث ذكرت ما رآه الفراء والفخر الرازى ، والنيسابورى ، وأعقبت ذلك بقولها : « ولو كان البيان القرآنى يتعلق بهذا الملحظ فحسب لما عدل عن رعاية الفاصلة فى الآيات بعدها »[٢] •

ولا يخفى أنها حذفت بعض ما نقله الباحث من الطبعة الأولى ، وأضافت الى ما بقى كلمة « فحسب » ليتضح مرادها •

ليس هذا فحسب ، ولكنها — زيادة على الحذف والاضافة فى العبارة المنقولة عن كتابها — حددت مرادها فى آخر حديثها عن السجع ورعاية الفواصل بقولها : « مقتضى الاعجاز أنه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضى لفظها فى سياقه دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه • قد نتدبره فنهتدى

---

(١) خصائص اتراكيب : ٢٨٩ .

(٢) الاعجاز البيانى للقرآن : ٢٦٩ الطبعة الثانية .

الى سره البيانى ، وقد يغيب عنا فنقر بالقصور عن ادراكه • ولا يظن بى أننى أهون من قيمة التأليف اللفظى ، والايقاع الصوتى لهذا النسق الباهر الذى نجتلى فيه فنية البلاغة تؤدى المعنى بأرهف لفظ ، وأروع تعبير ، وأجمل ايقاع »[١] •

وليس لنا بعد صنيعها هذا الا أن نقول : قطعت جهيزة قول كل خطيب •

بقيت لنا لفتة صغيرة يحسن بنا أن ننبه اليها • وهى أن الباحث المدقق فى تناوله لدلالات حذف المفعول ذكر أن حذفه قد يشير الى جملة فوائد • ومثل لذلك بالآية الشريفة (ما ودعك ربك وما قلى) • وأتبع التمثيل بالبيان قائلا : « قال الخطيب حذف المفعول لأجل الاختصار اللفظى لظهور المحذوف كما فى قوله : (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات)، اذ الأصل والذاكرين الله كثيرا والذاكراته ، وقال : ان الحذف يفيد مع الاختصار تحاشى أن يقع الفعل « قلى » على ضمير المخاطب وهو النبى عليه السلام ، لأن فى ذلك ما يوحش بخلاف ودعك فليس التوديع كالقلى • وهذا مذكور فى حواشى الايضاح »[٢] •

ولنا أن نبين أن الخطيب لم يذكر آية الضحى مثالا للحذف لأجل الاختصار اللفظى قياسا على آية الأحزاب وانما ذكرها مثالا لكون الحذف لرعاية الفاصلة ، وأن الأمثلة التى ذكرها لهذه الغاية هى : قولهم أصغيت اليه ، وأغضيت عليه ، وقوله تعالى : (أهذا الذى بعث الله رسولا) وقوله : (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) وقوله : (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء) وناقش السكاكى فيما عده من

---

(١) نفسه : ٢٧٨ •

(٢) خصائص التراكيب : ٢٨٧ •

الحذف لمجرد الاختصار وهو قوله تعالى : (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون) .. الآية[١] .

فاذا راق أحدا أن يعرف الذى ذكر أن الحذف فى آية الضحى لمجرد الاختصار قياسا على آية الأحزاب ، والذى رأى أن الحذف فيها يفيد مع الاختصار تحاشى أن يقع الفعل « قلى » على ضمير المخاطب . أجبناه بأن الذى ذكر الأول الزمخشرى حيث قال : « حذف الضمير من « قلى » كحذفه من الذاكرات ، ونحوه : فآوى ـ فهدى ـ فأغنى ، وهو اختصار لفظى لظهور المحذوف »[٢] . وأن الذى رأى الثانى هو ابن يعقوب المغربى حيث ناقش كون رعاية الفواصل من معتبرات علم المعانى أو من معتبرات علم البديع ثم قال : « وقيل ان الحذف هنا لترك مواجهة النبى صلى الله عليه وسلم بايقاع لفظ القلى على ضميره ولو كان منفيا واستبعد من جهة ايقاع « ودع » على ضميره ، والحق أن لفظ ودع ليس كلفظ قلى . فتدبر »[٣] .

ومن الجلى ـ كما تبين هذه النقول ـ أن ما ذكره الباحث ليس فى الايضاح ، ولا فى حواشى الايضاح . واذا كان الشيخ الصعيدى قد ذكر ـ ضمن الأغراض التى تركها الخطيب ـ معنى قول ابن يعقوب فقد كان حريا بالباحث أن يرد القول الى صاحبه . ولا يرسل القول على هذا النمط الباعث لوهم يرى ما فى الكشاف منسوبا للخطيب ، وما

---

(١) الايضاح ـ الخطيب القزوينى ـ تعليق : الشيخ عبد المتعال الصعيدى : ٩/٢ ـ ١٠ ـ ط الخامسة ـ مكتبة الآداب .

(٢) الكشاف : ٢٩٣/٤ ـ ٢٩٤ .

(٣) مواهب الفتاح ـ ضمن شروح التلخيص : ١٤٣/٢ ـ ١٤٤ ط عيسى الحلبى سنة ١٩٣٧ .

فى شرح التلخيص منسوبا « لحواشى الايضاح » وبصيغة الجمع « حواشى » ! •

ثالثا — كينونته وتحوير الكلمة فى سبيلها :

أدرك العارفون لخصائص القول البليغ أن النثر المنغم قد تستلزم كينونته تغييرا فى بنية الكلمة ، أو فى نسق الجملة ، أو فى العبارة •

ولعل أبا زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ) كان أسبقهم الى ذلك ، فقد تراءى له — فى ثنايا تناوله لمعانى القرآن الكريم — تغير فى صورة الكلمة تارة ، وفى هيئة العبارة تارة أخرى فسجل ما تراءى له من ذلك • فمهد الطريق لمن جاء بعده من الخلف ، ومن ثم رأينا ابن أبى الاصبع يورد فيما أسماه بالتهذيب شاهدا من القرآن الكريم هو قوله تعالى : (ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون — ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) ثم يعقب قائلا : « فان لقائل أن يقول ما فائدة الفاصلتين ، وقد أغنى عنهما ما قبلهما ؟ فيقال فى الكلام تقديم وتأخير اذا علم سقط معه السؤال ، وهو أن يقال : ومنهم من ينظر اليك ولو كانوا لا يبصرون أفأنت تهدى العمى • والأخرى كذلك • ويرد على ذلك قول من يقول : فما الداعى الى وضع الكلام على التقديم والتأخير الذى هو أحد أسباب التعقيد ؟ قلت : الداعى اليه توخى الاتيان بمقاطع الكلام مماثلة ما قبلها وما بعدها ••• ومعظم فواصل السورة على هذه الزنة والتقفية »(١) •

كما رأينا السيوطى يحدثنا عن شمس الدين بن الصايغ فيذكر أنه

---

(١) بديع القرآن — ابن ابى الاصبع — تحقيق د.حفنى محمد شرف : ١٦١ ط ثانية — دار نهضة مصر بدون •

ألف كتابا سماه (احكام الراى فى أحكام الآى) ذكر فيه أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية يرتكب بها أمور من مخالفة الأصل ، ويذكر السيوطى أنه تتبع الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة فعثر منها على ما ينيف على الأربعين حكما .

واذ كان بعض تلك الأحكام يشهد لقضيتنا فقد اكتفينا بعرضه هنا . وهاهو ذا :

١ — تغيير صورة الكلمة مثل قوله تعالى : (وطور سنين) والأصل سيناء .

٢ — حذف ياء المنقوص مثل (الكبير المتعال) .

٣ — حذف ياء الفعل غير المجزوم . ولم يذكر له السيوطى مثالا ، وهو يقصد مثل قوله تعالى : (والليل اذا يسر)[1] .

ولا يخفى أن ما يحدث فى الجملة أو العبارة من تحوير يتمثل فى التقديم والتأخير ، أو الحذف أو غير ذلك مما يجيزه قانون اللغة ليس فيه ما يكشف عن قوة الداعى الى تنغيم العبارة ، وانبجاس اللحن من ثناياها بخلاف الكلمة المفردة اسما كانت أو فعلا فان تغيير بنيتها ينم عن قوة أثر الموسيقى وما له من بعد فى مخاطبة الشعور .

واذا كان الباحثون فى بلاغة القرآن ، وطرائقه فى التعبير المعجز قد لحظوا هذه التحويرات ، ونبهوا اليها ، فان الباحثين فى بلاغة الكلام عامة قد التفتوا — أيضا — الى تلك الظاهرة ، ولفتوا اليها ، اذ رأينا أبا هلال (ت ٣٩٥ هـ) يذكر فى سياق استشهاده لفضيلة السجع أن

---

(١) ينظر : معترك الأقران فى اعجاز القرآن — جلال الدين السيوطى — تحقيق على محمد البجاوى : ١/٣٢ — ٣٩ ط دار الفكر العربى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ربما غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ ، واتباع الكلمة أخواتها كقوله صلى الله عليه وسلم « أعيذه من الهامة والسامة ، وكل عين لامة » وانما أراد ملمة ، وقوله عليه السلام ارجعن مأزورات غير مأجورات) وانما أراد موزورات من الوزر فقال مأزورات لمكان مأجورات قصدا للتوازن وصحة السجع »[١] .

ورأينا ابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) وقد سار على نهج العسكرى فى الاستشهاد والتعقب غير أنه ذكر الحديث الأول على صورته المروية فى صحاح السنن مدعما بالاسناد[٢] .

ويبدو أن ما استهدفه سلف البلاغيين من الاستدلال بظاهرة التحوير على ما للسجع من قيمة فنية تؤهله لأن يكون نسقا مقبولا من أنساق الصياغة الأدبية صار عرفا مستقرا فى أوساط البلاغيين عامة ، ومن ثم فقد بنى عليه المتأخرون ما لابد منه فى تخليق السجع ، وظهور ملامحه وهو الوقف على أعجاز الفواصل . فها هو ذا محمد بن على الجرجانى (ت ٧٢٩ هـ) يقول : « لا يشترط فى حسن السجع الاعراب ، ويكتفى فى المقصود بالوقف على السكون لئلا يلزم الحرج فى الكلام . ألا ترى أنك لو أعربت لفسد أكثر الأسجاع ... فاذا جاز اخراج الكلمة عن وصفها للازدواج كصرف ما لا ينصرف فى نحو قوله تعالى (قواريرا ، قواريرا) و (سلاسلا وأغلالا) وقولهم : انى آتيه بالغدايا والعشايا

---

(١) الصناعتين — ابو هلال العسكرى : ٢٥٢ — ط صبيح — بدون .

(٢) سر الفصاحة : ابو محمد عبد الله بن سنان الخفاجى — تحقيق : عبد المتعال الصعيدى : ١٦٩ ط صبيح سنة ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م .

مع امتناع الغدايا فعدم شرط الاعراب فى الفواصل أولى لعدم كون الاعراب شرطا فى حسن الكلام »[١] .

وعبارة لجرجانى غير دقيقة فى بيان مراده ، كما أن قوله بعدم كون الاعراب شرطا فى حسن الكلام بعيد عن الصواب ، وليس هنا مجال مناقشته . ولذلك كان الخطيب القزوينى (ت ٧٣٩ هـ) دقيقا حيث قال : « واعلم أن فواصل الكلام موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفا عليها ، لأن الغرض أن يزاوج بينها ، ولا يتم ذلك فى كل صورة الا بالوقف ، ألا ترى أنه لو وصلت قولهم : ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت لم يكن بد من اجراء الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الاعراب فيفوت الغرض من السجع ، واذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها للازدواج فى قولهم : انى لآتيه بالغدايا والعشايا أى بالغدوات فما ظنك بهم فى ذلك »[٢] ؟ .

وعلى الرغم من ..

كثرة القائلين بحدوث ظاهرة التغيير استجابة لداعية الايقاع ، وتناغم الفواصل وقفت باحثة الاعجاز البيانى رافضة لاعتبار الايقاع والتناغم — وحده — مسوغا لتلك الظاهرة ، ومضت تلتمس معنى تعزوها اليه باعتباره سببا غفل عنه الذاهبون الى سببية الايقاع ، وراحت تناقش ما ذكروه لذلك من أمثلة تتصل بحذف مفعول أو ايثار صيغة على أخرى ، أو لفظ على ما سواه والتمست دلالة معنوية يرتكز

---

(١) الاشارات والتنبيهات — تحقيق د.عبد القادر حسين : ٣٠٠ ط دار نهضة مصر — اولى بدون .

(٢) الايضاح — الخطيب القزوينى — تعليق الصعيدى : ٩٦/٤ — المطبعة النموذجية — مكتبة الآداب .

عليها التصرف فى اللفظ ، وينضـــاف اليها اللحن الموسيقى على نحو ما أوردناه فيما سبق ، وعلى نحو ما يراه من يراجع ما سواه فى الاعجاز البيانى[١] .

غير أن التغيير فى مثل هذه المواضع لا يمس بنية الكلمة على نحو يخرجها عن الوضع اللغوى ومن ثم لم تذكر سببا يرتكز عليـــه ما يمس بنيتها ، واكتفت برد سببية تماثل رءوس الآيات قائلة : « ويكفى للرد على من ذهبوا الى حذف الياءين فى آيات الفجر »[٢] لرعاية الفاصلة أن نذكر أن القرآن الكريم لم يقتصر على حذفهما هنا فى مقاطع الآيات ... وانما حذفت ياء المضارع المعتل الآخر ، وواوه أيضا ، وياء المنقوص مضافا ، ومعرفا بأل فى أواسط الجمل ودرج الكلام . وقد عقد الامام « أبو عمرو الدانى » بابا فى ذكر أصول القراء الأئمة فى الياءات المحذوفة من الرسم ومنها فى الفواصل :

هود : ١٠٥ (يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه) .

الاسراء : ١١ (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير) .

القمر : ٦ (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر) .

القمر : ٨ (مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) .

ق : ٤١ (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب) .

النـــازعات : ١٦ (هل أتاك حديث موسى — اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) .

---

(١) ينظر ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ من هذا البحث . و ٢٦٨ — ٢٧٨ من الاعجاز البيانى .

(٢) تعنى بالياءين : ياء « يسرى » ، وياء « الوادى » من قوله تعالى (والليل اذا يسر .. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) .

ومعها القصص : ٣٠ ، طه : ١٢ .

النمل : ١٨ (حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) .

الروم : ٥٣ (وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم) .

البقرة : ١٨٦ (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى) .

الصافات : ١٦٣ (الا من هو صال الجحيم) .

الرحمن : ٢٤ (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) .

التكوير : ١٥ (فلا أقسم بالخنس ــ الجوار الكنس) .

ولا مجل لقول فى هذه الآيات ونظائرها بحذف ياء المنقوص المضاف أو المعرف بأل ، وآخر المضارع المرفوع المعتل بالواو أو الياء لرعاية الفواصل ، ومشاكلة رءوس الآيات » .

« وقد يسبق الى الظن أن الياء والواو حذفتا فيها للتخلص من التقائهما ساكنتين بساكن بعدهما ، الا أن نلتفت الى آيات هود ، والبقرة ، والقمر ، والحرف فيها غير متلو بحرف ساكن » .

« أفلا يكون القائلون بالحذف لرعاية الفواصل قد تعجلوا بمثل هذا القول فى آيات الفجر ونظائرها محتكمين الى قواعد اللغويين والنحاة فى المعتل الآخر ، والمنقوص حين ينبغى أن نعرض قواعدهم على ما يهدى اليه الاستقراء لكل مواضع الحذف والاثبات فى الكتاب المحكم »[1] .

هذا كل ما قالته باحثة الاعجاز البيانى فى رد كون الحذف لرعاية الفواصل ، ولم تذكر سببا معنويا ينسجم مع ما قالته قبل آيات الفجر

---

(١) الاعجاز البيانى فى القرآن : ٢٧٠ ــ ٢٧١ .

وبعـــده ، كما لم تذكر سببا لغويا مما يجعلنا نتســـاءل : ألم تسعفها سليقتها الذواقة باستلهام معنى يصلح متكأ لهذا الحذف ما دام القول برعاية الفواصل لم يقع من نفسها موقع الرضا ؟ وألم تسعفها ثقافتها اللغوية بسبب لغوى آخر ما دام القائلون برعاية الفواصل قد تعجلوا فى احتكامهم الى قواعد اللغة ولم يستقرئوا ليتأنوا فى هذا الاحتكام • أم أسعفتها سليقتها أو ثقافتها ، ولكن خانها القلم بما طرأ له من عارض النسيان فلم يسجل ما أسعفت به ؟ •

تساؤل هامشى • لكن جوهر التفنيد لما ذكرته ـــ وهو ما دفعها الى وصم القائلين برعاية الفواصل بالعجلة ـــ قائم فيما ذكرته هى من كون الحذف لا لتقاء الياء والواو الساكنين بساكن بعدهما • أما ما رأته مانعا من القول به فانه لا يثبت أمام انعام النظر ، ذلك أن الشيخ سليمان بن عمر العجيلى المعروف بالجمل قال فى حاشيته على تفســـير الجلال السيوطى فى آية هود ما يرد شبهتها : « وقرأ أبو عمرو والكسائى ونافع « يأتى » باثبات الياء وصـــلا ، وحذفها وقفا ، وقرأ ابن كثير باثباتها وصلا ووقفا ، وباقى السبعة بحذفها وصلا ووقفا ، وفى مصحف عثمان حذفها • **وأثباتها هو الوجه ، لأنها لام الكلمة ، وانما حذفوها فى القوافى، والفواصل ، لأنها محل وقوف** »[1] •

وبالتأمل فيما قاله ندرك أن الحذف والاثبات لا يعدو أن يكون عملا خطيا ساوق به الكاتب منهج اللغة أو نافره ، وأنه ـــ عندما نافر ـــ كان يعتمد فى الكتابة على الأداء الصوتى فى القراءة • ونجد ـــ أيضا ـــ أن الشـــيخ لم يتحرج من تقرير أن الاثبات هو الصـــواب ، لأنه يساوق منهج اللغة •

---

(١) الفتوحات الالهية : ٤٢٢/٢ ط دار الفكر ـــ بيروت ـــ لبنان •

ولا يخفى أن الشيخ لا يعالج قضية الياء اذا كانت الكلمة هى لامها فى درج الكلام كالفعل « يأت » فى موقعـــة من آية هود فحسب ، وانما تجاوز الى ما كانت فيه فى الآخر فقصر الحذف فيها على رعاية القافية أو الفاصلة ، وعلة الحذف أنها محل وقوف .

ولم تكن الياء فى الفعل عندما يأتى فى درج الكلام هى كل ما وقف عنده ليلتمس علة لحذفها بل وقف عند الياء فى الاسم ، والواو فى الفعل فى مثل هذا الموقع مما ذكرته الباحثة ، ومن هنا وجدناه يقول : « وحذفت الواو من « يدع » خطا تبعا للفظ كما تقدم فى « تغن » و « يمح الله الباطل » وشبهه ، وحذفت الياء من « الداع » مبالغة فى التخفيف اجراء لأل مجرى ما عاقبها وهو التنوين فكما تحذف الياء مع التنوين تحذف مع ما عاقبها »[1] .

وقد نتساءل عما أراده من الحذف فى الخط تبعا للفظ ؟ .. وعندئذ نجده يجيب عما نتساءل عنه وهو بصدد الحديث عن آية القمر (فما تغن النذر) فيقول : « لا ترسم الياء هنا بعد النون اتباعا لرسم المصحف ، ووجهه اتباع الرسم اللفظ ، وهى فى اللفظ قد حذفت لالتقاء الساكنين ، وقوله : (يوم يوع الداع) لا ترسم فى العين واو اتباعا لخط المصحف الامام ، وقوله « الداع » لا ترســـم فى اللفظ يصح اثباتها وحذفها كما قرىء فى السبع »[2] .

وفيما قاله الشيخ ما ينبغى أن يطرح أو ينفى من ساحة الاعتبار ، ويتمثل فى أمرين :

---

(١) الفتوحات الالهية : ٤/٢٤٢ .

(٢) الفتوحات الالهية : ٤/٢٤١ — ٢٤٢ .

١ — أن الياء من ياءات الزوائد ، فهو نظر الى صورة الحرف لا الى موقعه من بنية الكلمة .

٢ — أن اجراء « أل » مجرى التنــوين ، بحجة أنه يعاقبها سهو واضح ، اذ التعاقب لا يعنى أن ما يصحب أحد المتعاقبين يصحب الآخر ، فالتنوين للتنكير ولا يتحقق فى المنقوص الا بحذف اليــاء لثقله عليها ، واذا دخلت اللام ثبتت اليــاء حيث لا علة للحذف ، ومن ثم قالوا : ان التنكير علامته التنوين ، و « أل » للتعريف فهما ضدان[1] .

ومع ذلك ففيــه ما هو أولى بالاعتبار وهو الحذف فى الخط تبعا للحذف فى اللفظ ، أى ان الرسم فى المصحف الامام قد لحظ فيه الأداء الصوتى . وفيه أن أربعة من القراء السبعة قرأوا بالاثبات ان وصلا ، وان وقفا .

وعليه فما كان من الحذف لغير علة التقاء الساكنين وكان فى درج الكلام فهو اقتــداء بالمصحف الامام ولحظ للأداء الصوتى ، وقراءات الاثبات الماع الى منهج اللغة فيه ، وما كان لعلة التقاء الساكنين فالأمر فيه ليس بعجيب .

أما ما كان فى آخر الكلام فالحذف فيــه للرعاية على الفاصلة كما ذكره الشيخ الجمل فيما نقلناه عنه منذ قليل .

ومن ثم فالخط لا ينهض حجة لرد سببية الرعاية للفواصــل ، والتنغيم الصوتى فى ظاهرة التغيير ، اذ الفاصلة سبب له اعتباره ، فهو يؤازر السبب المعنوى الذى اهتدت اليه فيما ذكرت . والذى لم تهتد

---

(١) ينظر شرح الأشمونى على ألفية بن مالك — ضمن حاشية الصبان : ١٧٨/١ — ط عيسى الحلبى بدون .

اليه فيما تركت ، ذلك : « أن القرآن حين يراعى الفاصلة ، ويبقى على تنغيمها انما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله فى التأثير ، لأن رنين الكلمات وجرسها • وتوافق ايقاعاتها لغة تتغلغل فى النفس والضمير »[١] •

رابعا : الحسن فيه : شرائطه وتفاوته :

ان موسيقى النثر لا تخلو مذاقتها حتى تنساب من خلاله فى طلاقة تتيح لها أن تتسلل الى النفس فى خفة تستولى على مشاعرها فلا تملك الا أن تأنق لها وتطرب لايقاعها •

ولقد أدرك الذين تقلبوا فى رياض الأدب ، وتذوقوا طعوم أنساقه هذه الحقيقة فاستخلصوا من ممارستهم الطويلة فى التذوق نتائج وضعوها بين يدى الشادى فى تلك الرياض لتكون منارة تكشف أمامه السبيل ، فاذا ما استحكمت لديه ملكة التذوق ، ووانته القدرة على الابداع أفرز تجربته فى صورة رائقة تكسبها تودد القلوب اليها ، واقبالها عليها •

وكان ابن الأثير رائدا فى استخلاص تلك النتائج حيث قال : « واعلم أن للسجع سرا هو خلاصته المطلوبة فان عرى الكلام المسجوع منه فلا يعتد به ، وهذا شىء لم ينبه عليه أحد غيرى »[٢] •

وبعد أن أعلن أنه أول من نبه على سر السجع مضى فبلوره فى شرائط أربع هى :

١ ــ اختيار الألفاظ •

٢ ــ اختيار التراكيب •

---

(١) خصائص التراكيب : ٢٨٧ •

(٢) المثل السائر : ١٩٨/١ •

٣ ـ تبعية اللفظ للمعنى لا العكس •

٤ ـ أن تكون كل واحدة من الفقرتين دالة على معنى غير الذى دلت عليه الأخرى[١] •

وقد أقر الباحثون هذه الشرائط التى استخلصها ابن الأثير فترددت فى دراسات بعضهم[٢] فنص عليها بعينها ، واكتفى بعضهم بالرابعة منها[٣] ، وربما اعتمدوا فى هذا الاكتفاء على أن اختيار اللفظ ، واختيار التركيب ، وتبعية اللفظ للمعنى أمور مقررة فى كل أنساق الكلام البليغ •

وأيا ما كانت الوجهة لهذا البعض أو ذاك فان استواء النثر على تلك الشرائط يهيىء له حسنا يستميل النفس ، ويناجى الوجدان ، غير أن هذا الحسن تتفاوت سماته ـ لا أقول درجاته ـ بين صورة وأخرى ، ومن أجل ذلك رأينا أئمة البيان العربى يتناولون هذا النثر المموسق يصنفونه فى صور وفق ما تراءى فيها من شارات هذا الحسن ، وما لم يتراء لهم منها ، وأسفر هذا التصنيف عن صور ثلاث :

١ ـ أن تكون القرينتان متساويتين فى الألفاظ فلا تزيد احداهما عن الأخرى كقوله تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر ـ وأما السائل فلا تنهر) • وهذه الصورة فى منظورهم أشرف صور السجع منزلة للاعتدال بين طرفيها •

---

(١) نفسه : ١٩٨/١ .

(٢) ينظر : الطراز للعلوى : ٢١/٣ ـ ٢٢ ، المطول للسعد : ٤٥٤ ط احمد كامل سنة ١٣٣٠هـ .

(٣) ينظر : مواهب الفتاح لابن يعقوب . وعروس الأفراح للسبكى ضمن شروح التلخيص : ٤٤٨/٤ ـ ٤٤٩ .

٢ — أن تكون الثانيـــة أطول من الأولى بغاية قريبـــة لا تخرج الصورة عن حد الاعتدال والا شاهت وصارت مستكرهة معيبة ، ومن أمثلتها قوله تعالى : (بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالســـاعة سعيرا — اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا — واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا) ، فالقرينة الأولى ثمانية ألفاظ ، والثانية والثالثة تسعة • وانما رؤى أن يكون الطول بغاية قريبة اذا كانت الصورة من فقرتين ، فان تجاوزتهما الى ثلاث لم يكن ثمة بأس فى أن تطول الثالثة الى ما يزيد عنهما معا ، لأنهما بالاضافة اليها بمثابة فقرة واحدة فيما ينبعث منهما من الايقاع ، على أن طولها عليهما ليس قياسا مطردا ، فقد تتساوى الثلاث كما فى قوله تعالى : (وأصـــحاب اليمين ما أصحاب اليمين — فى سدر مخضود — وطلح منضود — وظل ممدود) • قال ابن الأثير : « فهذه السجعات كلها من لفظتين لفظتين ، ولو جعلت منها خمس لفظات لم يكن ذلك يعيبها »[1] ، ويمثل لما طالت فيه الثالثة بقوله تعالى : (خذوه فغلوه — ثم الجحيم صلوه — ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) •

وهاتان الصـــورتان هما الأثيرتان بالحســـن وتتراءيان بكثرة فى القرآن الكريم •

٣ — أن تكون الثانية أقصر من الأولى • وهذه الصورة لم يذكروا لها مثـــالا يكشف عنها ، لأنها عارية من الحسن ، وسبب ذلك — كما قالوا — : « أن السجع يكون قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله ثم يجىء الفصل الثانى قصـــيرا عن الأول فيكون كالشىء المبتور

---

(١) المثل السائر : ١/ ٢٤٠ .

فيبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها »[١] .
ولا نحسب أنا بحاجة الى ايراد ما تركوا من ذلك ، فصور السجع المعيب ميسورة لمن أراد أن يطلع عليها فى عصر انحدار الأدب .

وهنا نجدنا بحاجة الى أن نتعرف ملامح الحسن الذى تواصفوه فى السجع .

ولكى نصل الى غايتنا فعلينا أن نذكر ما قالوه فيما كانت قرائنه متساوية ، فقد قالوا : انه أشرف السجع ، وأن نبين أنهم بعد أن بينوا ما كان متساوى القرائن أو مختلفها قسموه قسمين :

١ — قصير ، وهو ما كانت كل واحدة من السجعتين فيه مؤلفة من ألفاظ قليلة وهذه القلة تتراوح ما بين لفظتين الى عشرة ، وقد ذكروا لذلك أمثلة عرضنا بعضها فيما سبق ، كما ذكروا أخرى منها قوله تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر — وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر — وكذبوا واتبعوا أهواءهم ، وكل أمر مستقر) .

٢ — طويل وهو ما جاوزت كل من فاصلتيه عشرة ألفاظ حتى خمسة عشر لفظا ومن أمثلة ذلك — حسب تمثيلهم — قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رئوف رحيم — فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم) ، وقد تصل الى العشرين وما حولها ، وقد مثلوا لذلك بقوله تعالى : (اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ، ولو أراكهم كثيرا لفشلتم، ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور — واذ يريكموهم

---

(١) المثل السائر : ١/٢٤٠ .

(٢) ينظر : الطراز : ٣/٢٤ .

اذ التقيتم فى أعينهم قليلا ، ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمـــرا كان مفعولا ، والى الله ترجع الأمور) .

وفى سياق حديثهم عن السجع القصير نلحظ أنهم قالوا : « وكلما قلت الألفاظ كان أحسن لقرب الفواصل من سمع السامع ، وهذا الضرب أوعر السجع مذهبا ، وأبعده متناولا ، ولا يكاد يقع استعماله الا نادرا . وانما كان أوعر ... لأن المعنى اذا صيغ بألفاظ قصيرة عز مواتاة السجع فيه لقصر تلك الألفاظ ، وضيق المجال فى استجلابه .. وأما الطويل فان الألفاظ تطول فيه ، ويستجلب له السجع من حيث وليس — كما يقال — وكان ذلك سهلا »[1] .

وبالتأمل فيما ردوا اليه شرف السجع من تساوى الفاصلتين ، ومن قلة الألفاظ نلحظ أن الحسن فى السجع مرده الى ما فيه من نغم ينساب متعادل الايقاع مما تساوت قرينتاه ، أو نغم يتتابع على مسافات زمنية قصيرة ، فالحسن فى السجع القصير لقرب الفواصل من السجع — كما قرروا — ولا ريب أن تنغيم الجمل القصيرة ، وايجاد التلاؤم بينها بحيث يبدو النغم المنبعث منها سلسا تستطيبه النفس ، ويلذ للسمع أمر صعب لا يواتى السليقة البشرية فى سهولة ويسر ، ولذلك قالوا انه أوعر السجع مذهبا وأبعده متناولا ، فاذا ما أسمح بعد تأب ، وواتاها فى الفينة بعد الفينة كان من الغرابة بحيث تجد له من الطرب ما يلبى حاجتها ، ويطفىء ظمأ الشوق اليه . وهذا ما أفصح عنه العلوى حيث قال : « فأما القصير فهو أوعر أنواع التسجيع مسلكا .. وأخفها على القلب ، وأطيبها على السمع ، لأن الألفاظ اذا كانت قليلة فهى أحسن وأرق ، لأنها اذا كانت أطرافها متقاربة لذت على الآذان لقرب فواصلها ولين معاطفها »[2] .

---

(١) المثل السائر : ١/٢٤٠ — ٢٤١ .

(٢) الطراز : ٣/٢٣ .

الحسن الذى يصفونه هو ذلك النغم المتقارب الموقع فى الكلم ، المتتابع الأثر على الحس • وفى سلاسة تنال من للعجب ما يبعث فى النفس الطرب من أعماقها ويأخذها من أقطارها •

ومن ثم كان النثر المنغم على هذه الوتيرة له من الاستطابة الشىء الكثير على أن ذلك لا يغض مما لا يتعادل فيه الايقاع أو لا يتتابع على مسافات قريبة لتباعد الفواصل أو لعدم تعادلها •

وهنا ملحوظة تمثل فى أن التمثيل للنوعين من السجع لم يخل من آيات كريمات من كتاب الله ، وهذه الملحوظة تثير تساؤلا مؤداه : ألا يعنى التفاوت فى السجع من حيث التعادل فى الفواصل فى السجعة الواحدة ، ومن حيث الطول والقصر بين سجعة وأخرى تفاوتا فى الحسن يترتب عليه التفاوت فى الاعجاز ؟

بصدد هذا التساؤل نذكر أن باحثا مدققا توقف بازاء هذا التقسيم ذاهبا الى أن تطبيقه على البيان القرآنى يمس اعجاز القرآن من جانب ، بل ويخدش وجه الأدب مع الله جل وعز من جانب آخر ، ففى دراسة له بعنوان : « أسس بلاغية تطبيقها على البيان القرآنى محظور »[1] •

قال : « ليس السجع عندهم مستويا فى الحسن • وضابط هذا كما نصوا عليه : أن أحسن الأسجاع ما تساوت قرائنها ••• ومعنى هذا أن السجع فى قول الامام على السابق[2] — أحسن من السجع الذى فى

---

(١) من قضايا النقد والبلاغة — د. عبد العظيم المطعنى : ١٣٢ — ط أولى سنة ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤ م •

(٢) القول المشار اليه هو قوله فى وصف مقام الرسول صلى الله عليه وسلم : عترته خير العتر ، وأسرته خير الأسر . المصدر السابق : ١٥٩ •

سورة النجم، لأن قول الامام على استوفى شروط الحسن حسب قواعدهم، أما قوله تعالى : (والنجم اذا هوى) فلم يستوف كل شروط الحسن لطول القرينة الثانية عن الأولى .. بل ان بهـذا المقياس يصبح قول الحريرى ــ يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه ــ أحسن وأبلغ من قوله تعالى : (والنجم اذا هوى ــ ما ضـل صاحبكم وما غوى) . وهذا جهل بقدر كلام الله وسمو بلاغتـه .. والسبب فى هذا الخلط تلك القاعدة التى وضعوها ثم طبقوها ظلما وعدوانا على البيان القرآنى فأدى بهم الى هذا المحظور ، وقد أدت تطبيقات هذه القاعدة الى محظور آخر وهو القول بتفاوت القرآن بعضه على بعض فى الحسن ، وهذا فيه كثير من سوء الفهم والتقدير ، فالقرآن كله فى درجة واحدة لا يعلو بعضه بعضا ، لأن مصدره واحد وهو الله سبحانه وتعالى .. وحرى بالمسلم أن يهجر هذا الفهم ، لأنه يؤدى الى محظور كذلك وهو أن الله ــ سبحانه ــ كان فى بعض المواضع من القرآن أقدر على اجادة القول منه فى مواضع أخرى ، وهذا محـال فى حقه ، لأنه على حكيم »[1] .

وأحسب أننى أطلت فى هذا النقل ، ولولا هذا الاحساس لنقلت ما بقى ، وفيه حديث عن شراح التلخيص وغيرهم الذين يفهم من تمثيلهم أنهم يذهبون هذا المذهب ، وفيه ــ الى جانب ذلك ــ عود الى القول بأن تطبيق هذه القواعد على البيان القرآنى محظور مما ينبغى معه اعادة النظر فى تلك القواعد أو بقائها فى منأى عن القرآن وروعته وجلاله .

ومع تقديرى لغيرة الصديق الفاضل على القرآن ، وحرصه على أن

---

(١) المصدر السابق : ١٥٩ ــ ١٦٠ .

لا يزج به فيما لا يليق بجلاله فانى لا أرى رأيه ، ذلك أن التفاوت فى حسن السجع لا يعنى التفاوت فى الاعجاز ، لأن النغم فيه منبعث من التوزيع الخارجى للايقاع ، وما لم يكن على صورة التتابع القريب فى المسافة الزمنية التى يستغرقها الأداء اللفظى ، وما لم يكن على صورة التعادل فيها تنبعث فيه من تلاؤم الألفاظ موسيقى خفية تنساب الى النفس فى رقة بالغة فى غير تنبه اليها حتى اذا ما وصلت الى نهاية الفاصلة أدركت أن ثمة لحنا هنا مقطعه ، وقراره • فالفارق انما هو فى طريقة انسياب النغم الى النفس بين السرعة والهوادة ، وفى مدى التنبه وادراك الأثر لا فى مقداره ومثل ذلك لا يخدش وجه الاعجاز •

ولو كان الأمر كما رأى صديقنا الفاضـــل لكانت الآيات « التى لا سجع فيها أقل بلاغة ، وأنزل فى رتبة الاعجاز مما تفاوتت قرائنه ، وقد كان ابن الأثير على درجة من الوعى مكنته من تصـــور أن بعض الباحثين قد يساورهم مثل هذا الخاطر فقال : « فان قيل اذا كان السجع أعلى درجات الكلام على ما ذهبت اليه فكان ينبغى أن يأتى القرآن كله مسجوعا ، وليس الأمر كذلك • قلت فى الجواب ••• ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع ، وانما تضمن القرآن غير المسجوع ، لأن ورود غير المسجوع معجزا أبلغ فى باب الاعجاز من ورود المسجوع ، ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعا »[١] ، وقد ردد العلوى ما قاله ابن الأثير ، ومما قاله « فاتيان ما ليس مســجوعا فى القرآن يؤذن ••• أنه فى غاية الاعجاز مع عدم السجع ، وفى هذا دلالة على اعجازه من كل الوجوه »[٢] ، ولنا أن نقول بعد هذا ان ما تفاوتت قرائنه

---

(١) المثل السائر : ١/١٩٨ .

(٢) الطراز : ٣/٢٨ .

أو طالت مع تساويها كالمتساوية مع القصر فى البلاغة والاعجاز سواء بسواء .

واذا جارينا الباحث الغيور على اعجاز القرآن والحريص على حسن الأدب مع الله تعالى وأقصينا ما يجلب شبهة التفاوت فى الاعجاز عن ساحة القرآن وهو القول بحسن ما تساوت قرائنه أكثر مما عداه فهل لنا أن نرد ما حكاه الامام عبد القاهر بقوله : « قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الافصاح ، والتعريض أوقع من التصريح ، وأن للاستعارة مزية وفضلا ، وأن المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة »[1] حتى لا يجلب تلك الشبهة ؟ .

اننا اذا لم نرده كان لقائل أن يقول — وفق هذه المرؤية — : ان ما جرى على نمط الحقيقة من التعبير القرآنى أقل بلاغة ، وأنزل درجة فى الاعجاز مما جرى على نمط المجاز ، فما أحسب أن أحدا أنكر وجود الحقيقة فى القرآن بل ان الانكار توجه الى وجود المجاز فيه مما دعا كثيرا من الباحثين الى التصدى لهذه الرؤية بالتفنيد ، ومنهم صديقنا الفاضل فى كتابه الضافى « المجاز فى اللغة والقرآن »[2] .

وأحسب أن رد اجماع السلف الذى حكاه عبد القاهر ولم يعارضه احترازا من شبهة قد لا يبعثها الا الوهم يعد ضربا من تجاهل الحقائق ، فالانضواء تحت لواء هذا الاجماع من أرباب البحث والنظر لا يسلم

---

(١) دلائل الاعجاز — عبد القاهر الجرجانى — تحقيق رشيد رضا : ٥٥ ط دار المعارف ببيروت سنة ١٣٦٨هـ — ١٩٧٨م .

(٢) المجاز فى اللغة والقرآن الكريم — د. عبد العظيم المطعنى — ط أولى — مكتبة وهبة بالقاهرة جزءان كبيران .

الى تلك الشبهة ، لأن لكل من ألوان التعبير دوره فى اضفاء الحسن البلاغى اذا أحسن المتكلم وضعه فى موضعه الذى يلائمه ، ولا ريب أن لكل لون من هذه الألوان موضعه الذى لا يسامى فى بنية الأسلوب القرآنى مما جعل كل آياته فى درجة واحدة من الاعجاز •

هذا وكل يؤخذ من كلامه ويرد الا الصادق المصدوق • وأرى أن ما سطرته فى هذه الدراسة صواب يحتمل الخطأ ، والكمال لله وحده •

١٠د / عبد الموجود متولى بهنسى

مشروع إعداد نسخة إلكترونية
لمجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية
إعداد وتنفيذ
أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب
استاذ ورئيس قسم الأدب والنقد في الكلية